إعجاز القرآن بين المحكم والمتشابه
دراسة موضوعية

إعداد

د/ جابر منصور علي أبو الحمد

مدرس التفسير وعلوم القرآن

بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا

إعجاز القرآن بين المحكم والمتشابه

جابر منصور علي أبو الحمد

قسم التفسير وعلوم القرآن، كلية الدراسات الإسلامية والعربية بنين، جامعة الأزهر، قنا، جمهورية مصر العربية.

البريد الإلكتروني: GaberAbuElHamd.4119@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

تناولت في هذا البحث "إعجاز القرآن بين المحكم والمتشابه دراسة موضوعية" الحديث عن إعجاز القرآن من ناحية تعريفه، ووجوهه، ووجوب استمراريته، وأن هذا الاستمرار هو الدليل القائم على نبوة المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى قيام الساعة، وكيف كانت معجزته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عقلية معنوية مقارنة بما كان للأنبياء السابقين عليهم السلام، وتحدثت عن وجه من وجوه الإعجاز، ألا وهو تقسيمه إلى محكم ومتشابه، وقد قمت بذكر ما رجحه العلماء من تعريفهما على وجه الاختصار مما يحقق الفائدة، ثم كان من الضروري معرفة مقدار المحكم والمتشابه وأيهما الأعم الأغلب، وما الذي يترتب لو اختل هذا التقسيم زيادة ونقصا، ثم بينت من خلال أقوال العلماء أن التشابه يكون في الفروع، وأن التشابه أمر نسبي يختلف حسب درجة متناول النص ورسوخه في العلم، ثم تناولت الحديث عن الإعجاز في المحكم والمتشابه واستيعابهما قضايا الحياة في كل زمان ومكان، وما لهذا الكتاب الكريم من مكنونات تثبت مصدريته في كل وقت وحين، ثم معرفة الحكمة من ورود المتشابه، ما علمنا منه وما لم نعلم، ومن الذي يستطيع أن

يقرر أن هذه النصوص محكمة أم متشابهة، ثم ربطت بين ما ذكرت سابقا وبين الواقع، فعرضت لبعض النماذج التطبيقية التي تبين إعجاز القرآن بين المحكم والمتشابه، فذكرت نماذج في الإعجاز التشريعي، والعلمي، والاقتصادي. ثم ذكرت في الخاتمة أهم نتائج هذا البحث، وأهم الاقتراحات التي توصلت إليها من خلال عملي فيه، ثم زيلت البحث بما استعنت به من مراجع. هذا والله من وراء القصد هو نعم المولى ونعم النصير.

الكلمات المفتاحية: إعجاز، القرآن، وجوه، التفسير، المحكم، المتشابه.

The miracle of Quran between the fundamental and the similar

Jaber Mansour Ali Abu Al-Hamad

Department of Interpretation and Quranic Sciences, Faculty of Islamic and Arabic Studies for Boys, Al-Azhar University, Qena, Arab Republic of Egypt.

Email: GaberAbuElHamd.4119@azhar.edu.eg

Abstract:

In this research, “The Qur’an Miracle between the fundamental and the Similar, Objective Study” I dealt with the hadith about the miracle of the Qur’an in terms of its definition, its aspects, and the necessity of its continuation. This continuation is the evidence based on the prophecy of the Chosen One- may God's blessings and peace be upon him- to the rise of the Hour, and how his miracle, may God's blessings and peace be upon him, was a moral mentality compared to that of the previous prophets, peace be upon them. I talked about one aspect of the miracle which is to be divided into a fundamental and similar. I've mentioned what the scholars preferred in terms of defining them in short which would achieve benefit. Then it was necessary to know the extent of the fundamental and the similarity and which of them is the most general and what would result if this division was disturbed, both more and less. After that I showed through the sayings of scholars that the similarity is in the branches and that the similarity is a relative matter that varies according to the degree of the person who deals with the text and firmness in science. Then I talked about miracles of the fundamental and the similar and their comprehension of the issues of life in every time and place and what this noble book has of the contents that prove its source at all times then

knowing the purpose of the emergence of the similar, what we know and what we did not know and who can decide that these texts are fundamental or Similar. After that I linked what I mentioned previously and reality. So I presented some applied models that show the miracle of the Qur'an between the fundamental and the similar; I mentioned examples of legislative, scientific, and economic miracles. Then, in the conclusion, I mentioned the most important results of this research and the most important suggestions that I reached through my work on it. Then the research was removed with the references I used. This, by God, behind the intention is the blessings of the Lord and the best of the protector.

Keywords: Miracle, Qur'an, Faces, Interpretation, Fundamental, Similar.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله بجميع المحامد التي حمد بها نفسه، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وعلى آله وصحبه ومن تبعه واقتفى أثره بإحسان إلى يوم الدين، ثم أما بعد، ، ،

فلقد منَّ الله على البشرية إذ أرسل فيهم المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعه ما يصلح حالهم ومآلهم، أرسله بمنهج يرسم حياتهم على الوجه الذي يرضيه عنهم، أرسله بمعجزة متجددة على مدى الزمان والمكان تدلل في كل وقت على نبوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، مما دفع كل صاحب عقل أن ينظر في هذه المعجزة، فيجد فيها الحجة الدامغة، فإن آمن يزداد ثقة ويقينا، وإن كان من أهل الزيغ والبطلان كانت حجة عليه إلى يوم الدين، وإن لم يقر بذلك فهو يعلم في قرارة نفسه أنه من عند الله، وما يحمله على العناد إلا الزيغ والبطلان.

وقد ظهر جليا إعجاز القرآن الكريم وتعددت موضوعاته، ولعل ذلك إلجاما لأهل الفتن في كل عصر ومصر، بل وشرف للمتحدث فيه ورفعة له، وقد ظهر من جوانبه ما لا يحصى، في الأسلوب والتعبير، والفقه والتشريع، في إخباره بالغيب من ماض ومستقبل، من إشارات لحقائق علمية تثبت إعجازه وتدلل على وجود الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

يقول الرافعي بأسلوبه الرفيع مثبتا أن هذا الإعجاز ثابت لا يزول على مدى الدهر:" إن هذا القول ما برح كثير المذاهب، متعدد الجهات، متصل الحدود، يفضي بعضه إلى بعض، إذ هو كتاب الله إلى الأرض مستقرا ومستودعا، قد جاء بالإعجاز الأبدي الذي يشهد على الدهر ويشهد الدهر عليه، فما من جهة من الكلام وفنونه إلا وأنت واجد إليها متوجها فيه، وما من عصر إلا وهو مقلب صفحة منه. ولقد أراد الله أن لا تضعف قوة هذا الكتاب وألا يكون في أمره على تقادم الزمن خضع أو تطامن (انخفاض) فجاءت هذه القوة فيه بأسبابه المختلفة على قصد ما أراد، فلا سبيل عليه ليد الزمن وحوادثه مما تبليه أو تسجده، إنما هو روح من أمر الله هو نزله ويحفظه {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩]".[(١)]

ولا عجب في ذلك، فالقرآن خاتم الكتب الإلهية لا كتاب بعده، وهو جماع الرسالات إلى خلقه، كما قال سبحانه: {وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ } [النحل: ٨٩]، وهدى لكل خير، فلابد أن يكون بيانا لما أبهم وتفصيلا لما أغلق، وحاسما لكل اختلاف. ولقد أحكم الله كتابه، وتكفل بحفظه، وحال بينه وبين سائر محاولات التحريف، وعصمه من الباطل من بين يديه ومن خلفه. وأحكم آياته ثم فصلها على علمه الشامل المحيط المطلق الذي لا تحده حدود ولا يخضع لقيود، وجعل كتابه كريما لا يبخل على قاصده، ولا تنقضي عجائبه ولا

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ص ٢٥، لمصطفى صادق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، الناشر: دار الكتاب العربي - بيروت، ط: الثامنة - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.

يتوقف عطاؤه.[1]

ولما كان الأمر كذلك ولا يحتاج إلى جهد أمثالي، بل هو -كما قلت- رفعة للشأن وسمو بها، أحببت أن أدلي بدلوي في بيان إعجاز القرآن الكريم من ناحية تقسيمه إلى محكم ومتشابه، وقد سبقني إلى هذا التقسيم كثير من السادة العلماء إلا أني قد وجدت الحديث يكاد ينحصر في بيان المحكم والمتشابه وذكر آراء العلماء حول ذلك، ولا تكد تجد اختلافا كثيرا بين القديم والحديث إلا مجرد الاختلاف في الأسلوب، وكذلك ما وجدته من استصعاب بعض الدارسين حين يتعرض أحدهم لدراسة هذا الباب، رغم أن البحث أصل في بابه، فأحببت أن أضرب لنفسي بسهم، منزلا هذا الكلام على أرض الواقع، سائلا المولى سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أن يهديني سواء السبيل وأسأله من خزائن علمه التي لا يعلم مقدارها إلا هو. وقد توكلت على الله في هذا البحث مسميا إياه:

"إعجاز القرآن بين المحكم والمتشابه دراسة موضوعية"

ولا يفوتني أن أذكر أنه لابد وأن يوجد في هذا العمل بعض النقص والهفوات التي قد يسبق إليها القلم، أو يذهل عنها الفكر، أو يخطئ الشخص في الحكم عليها، ولا كمال إلا لله وحده.

خطة البحث:

لما كان الحديث هنا يستلزم الحديث عن الإعجاز من ناحية وعن

(١) نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه ص ٤ بتصرف، أ. د / طه العلواني، ط: دار السلام للطباعة والنشر بالقاهرة ط: ٢٠١٠.

المحكم والمتشابه من ناحية أخرى، ثم بيان ذلك في نماذج تطبيقية، فقد قسمت هذا البحث إلى: مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة.

أما المقدمة: فقد تضمنت خطة البحث، وأسباب اختيار الموضوع والهدف منه.

وأما المباحث، فالمبحث الأول: وهو الإعجاز القرآني، وقد تكون من ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: الإعجاز لغة واصطلاحا.
- المطلب الثاني: أوجه الإعجاز ووجوب استمراريته.
- المطلب الثالث: القرآن معجزة عقلية معنوية خالدة.

وأما المبحث الثاني: المحكم والمتشابه، وقد تكون من ستة مطالب:

- المطلب الأول: بيان الراجح في المحكم والمتشابه.
- المطلب الثاني: نسبة المتشابه من المحكم في الشريعة، وما يقع فيه التشابه.
- المطلب الثالث: نسبية التشابه.
- المطلب الرابع: استيعاب المحكم والمتشابه قضايا الحياة.
- المطلب الخامس: الحكمة من ذكر المتشابهات في القرآن الكريم.
- المطلب السادس: من الذي يقرر هذا محكم وهذا متشابه.

وأما المبحث الثالث: عرضت فيه نماذج تطبيقية لقضية المحكم

والمتشابه، وقد تكون من ثلاثة مطالب:

- المطلب الأول: نماذج تطبيقية لقضية المحكم والمتشابه في الإعجاز التشريعي.
- المطلب الثاني: نماذج تطبيقية لقضية المحكم والمتشابه في الإعجاز العلمي.
- المطلب الثالث: نماذج تطبيقية لقضية المحكم والمتشابه في الإعجاز الاقتصادي.

ثم بعد ذلك الخاتمة وتشتمل على أهم نتائج البحث، وأهم الاقتراحات، ثم ثبت المراجع.

أسباب اختيار الموضوع والهدف منه:

أسباب اختياري للموضوع:

- سبب عام وهو: ما يحدث من محاولة اقتضاب الأدلة واجتزائها لتأييد كل صاحب مذهب مذهبه، وخاصة بعد سهولة ظهورهم على القنوات، مما يؤثر سلبا حاضرا ومستقبلا.
- وسبب خاص: ما لهذا الموضوع من أهمية بالغة، وعِظَمُ خطره؛ لأن إثباته إثبات للتصديق بالقرآن.
- جرأة البعض على كتاب الله تعالى، ومحاولة اللعب بالنصوص وإخراج القرآن الكريم في ثوب المتناقض.

وأما الهدف منه:

- محاولة تجديد الدراسة في الإعجاز القرآني، إذ إنه إثبات لصلاحية القرآن الكريم - جل من أنزله- لكل زمان ومكان، ولما يترتب على ذلك من الأبواب الشرعية، واستيعاب النصوص القرآنية لمتغيرات الواقع ؛ لما حوته من صلاحيات ومكنونات تبرز لكل أهل عصر ما يحتاجونه من أحكام في أقضيتهم.
- القضاء على كثير من أفكار المتنطعين الذين يظنون دائما أن مردهم الدليل، وهم على خطأ في فهم بعض النصوص، وما هم إلا على فهم لبعض الظاهر بل قد يغاير مفهوم الآية أحيانا، وللأسف انتشرت هذه الظاهرة في مجتمعنا وذلك إما لكثرة وسائلهم الإعلامية، أو لضعف الدعاة أحيانا وتركهم لأماكنهم فشُغلت بغيرهم، ولله الأمر من قبل ومن بعد.
- إثبات تكفل الله للبشر بهدايتهم إلى الغاية المرجوة، فلم يتركهم يتخبطون أو يجعل عملهم سدى.

المبحث الأول

الإعجاز القرآني

ويحتوي على المطالب الآتية:-

-المطلب الأول: الإعجاز لغة واصطلاحا.

-المطلب الثاني: أوجه الإعجاز ووجوب استمراريته.

-المطلب الثالث: القرآن معجزة عقلية معنوية خالدة.

المطلب الأول

الإعجاز لغة واصطلاحا.

الإعجاز لغة: مأخوذ من عَجَزَ، الْعَيْنُ وَالْجِيمُ وَالزَّاي أَصْلَانِ صَحِيحَانِ، يَدُلُّ أَحَدُهُمَا عَلَى الضَّعْفِ، وَالْآخَرُ عَلَى مُؤَخَّرِ الشَّيْءِ. (١) وقد يجمع بين أصلي معنى الإعجاز فيقال: العجز أصله التأخر عن الشيء، وحصوله عند عجُز الأمر أي مؤخره، وصار التعارف اسما للقصور عن فعل الشيء وهو ضد القدرة (٢). يقول ابن منظور الإفريقي: وَمَعْنَى الإِعْجاز الفَوْتُ والسَّبْقُ(٣).

والإعجاز في الاصطلاح: إفعال من العَجْز الذي هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل أَو رأْى أَو تدبير.(٤)

أما معنى "إعجاز القرآن" كمركب إضافي فمعناه: إثبات عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به، فهو من باب إضافة المصدر لفاعله، والمفعول وما تعلق به محذوف للعلم به، والتقدير: إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به.(٥)

---

(١) مقاييس اللغة مادة (عَجَزَ) .

(٢) إعجاز القرآن بين السيوطي والعلماء ص ٢٦، لمحمد حسن عقيل موسى، ط: دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع بجدة، ط: الثانية ١٤٢٢ -٢٠٠.

(٣) لسان العرب مادة " عجز ".

(٤) بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز ج١ ص ٦٥ ، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، ت: محمد علي النجار، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

(٥) إعجاز القرآن بين السيوطي والعلماء ص ٥٣، مدخل إلى إعجاز القرآن للشرباتي ص٩، =

والإعجاز أمر ليس مقصودا لذاته، بل المقصود لازمه، وهو إظهار أن هذا الكتاب حق، وأن الرسول الذي جاء به رسول صدق، فإعجازه أصدق وأقوى دليل على أنه كلام العليم الخبير، ومتى سلم الدليل سلمت النبوة، بل وسلم الإسلام كله، بل الكتب الإلهية كلها، فلم يبق شاهد مقبول الشهادة إلا هذا الكتاب الذي أنزله الله مقررا نبوة الأنبياء الصادقين وشرائعهم ومصححا أغلاط اللاغطين فيها والمحرفين لها {وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ .....} [المائدة: ٤٨]. (١)

والذي يوجب الاهتمام التام بمعرفة إعجاز القرآن: أن نبوة نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بنيت على هذه المعجزة، فكان دليلا قطعيا على أن النبي من عند الله أيده بمعجز القرآن على مدى العصور وهي معجزة عامة، عمت الثقلين. (٢)

=

الأستاذ المشارك في التفسير وعلوم القرآن، عميد كلية الشريعة بجامعة الخليل، مقدم إلى جامعة الزرقاء الأهلية، مؤتمر كلية الشريعة السابع ٢٠٠٥.

(١) مدخل إلى إعجاز القرآن للشرباتي ص ٩ بتصرف.

(٢) نظرات من الإعجاز البياني نظريا وتطبيقا لسامي حريز ص ٢٤، ط: دار الشروق بالأردن، ط: الأولى ٢٠٠٦.

المطلب الثاني

أوجه الإعجاز ووجوب استمراريته

إن الدارس لأوجه إعجاز القرآن قديما وحديثا يلحظ كثرة الأقوال وتعددها، لكن المهم في ذلك أنه قد اتفقت كلمة العلماء على أن القرآن لم يعجز الناس عن أن يأتوا بمثله من ناحية واحدة معينة، وإنما أعجزهم من نواحي متعددة، لفظية ومعنوية وروحية، تساندت وتجمعت فأعجزت الناس أن يعارضوه. واتفقت كلمتهم أيضا على أن العقول لم تصل حتى الآن إلى إدراك نواحي الإعجاز كلها، وحصرها في وجوه معدودات. وأنه كلما زاد التدبر في آيات القرآن، وكشف البحث العلمي عن أسرار الكون وسننه، وأظهر عبر السنين عجائب الكائنات الحية وغير الحية، تجلت نواح من نواحي إعجازه، وقام البرهان على أنه من عند الله.[1]

والإعجاز القرآني هو أول أدلة النبوة، ولما كانت النبوة المحمدية هي النبوة الخاتمة - كما أشرت سابقا - وكانت أمته التي أرسل إليها هي كل الناس إلى يوم الدين كان لزاما أن يكون الكتاب معجزا لكل الأمم على اختلاف علومها باختلاف الأمكنة والأزمنة، وكان الأنبياء فيما مضى تبعث بمعجزات تفوق ما في عصرها من العلوم، ولذا فإن ما قرره علماء أصول الفقه من أن إعجاز القرآن متجدد ومتنوع هو تقرير يوافق الحق.[2]

---

(١) علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع ص ٢٩، ٣٠، لعبد الوهاب خلاف (ت: ١٣٧٥هـ)، ط: مطبعة المدني "المؤسسة السعودية بمصر"

(٢) النظم العددية المنعكسة وتركيب الحامض النووي ص ٢ بتصرف، د / الصديق الحاج

يقول د / أبو الوفا أحمد عبد الآخر حول دوام الإعجاز القرآني: لابد أن يكون من صفاته أن يعجز البشر على أن يحيطوا به علما، ليظل دائم الإعجاز متجدد العطاء مناسبا لكل زمان ومكان بنصه الثابت، وما يترتب عليه من التنوع والتوسع والاستمرار في الفهم بالمعطيات العقلية التي ينعم الله بها على الأجيال المتعاقبة من بني الإنسان، ولو تمت الإحاطة بالقرآن لطائفة من البشر أو لعصر من العصور أو لفريق من الباحثين كما يحدث لكافة المؤلفات البشرية، لتوقف عن استمرارية التجديد والعطاء، ولأصبح مرجعا تاريخيا فحسب مهما كانت أهميته وعظمته. (١)

بل إذا نظرنا إلى هذا التقسيم بين الإحكام والتشابه ودوام الإعجاز فيه، وتكشف إثباتاته على مدى العصور المختلفة نجده ربط لنسيج الأمة وعلومها على مدى عصورها المختلفة.

يقول د / طه العلواني:" حينما يكون الخطاب من الخالق إلى المخلوق النسبي المحدود في إدراكه، فلابد من اشتمال الخطاب الإلهي على مكنونات تستوعب الزمان والمكان، وما يكشف من هذا المكنون عبر العصور ما هو إلا جزء منه، وقبس من فضائه يؤدي إلى تواصل الأجيال وإلى تراكم معرفي

أبو ضفيرة، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، قسم اللغة الفرنسية، محرم ١٤٢٦-٢٠٠٥، بحث لمؤتمر إعجاز القرآن كلية الشريعة، جامعة الزرقاء الأهلية بالأردن ٢٠٠٥.

(١) المختار من علوم القرآن" القرآن الكريم من التنزيل إلى التدوين والترتيل " ج ١ ص ٢٤١، د / أبو الوفا أحمد عبد الآخر، ط:الأولى ٢٠٠٢ -١٤٢٣، ط: المكتب المصري الحديث بالقاهرة.

يمكن البناء عليه في تكوين الأمة الواحدة.[1]

وغني عن البيان أن نشير إلى سمة الخلود أو الاستمرارية وعدم الانقطاع التي تميز إعجاز القرآن بمعنى أن الإعجاز ليست مسألة تاريخية مقصورة على عصر معين أو على جيل التنزيل على وجه الخصوص، ولكنه مستمر إلى يوم الدين بدليل " ولن تفعلوا " سواء قلنا " لن " لمطلق النفي أم لتأبيد النفي كما ذهب إليه الزمخشري وبدليل آية الإسراء التي أطلقت هذا التحدي في آخر مراحله، وأشدها وطأة في باب التعجيز والتيئيس {قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا } [الإسراء: ٨٨] فالإنس والجن لو قدر لهم الاجتماع لا يأتون بصيغة المضارعة الدالة في هذا السياق على الاستقبال.[2]

(١) نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه ص ٣٥، أ. د / طه العلواني، ط: دار السلام للطباعة والنشر بالقاهرة ط: ٢٠١٠.

(٢) بين مفهوم المعجزة وإعجاز القرآن نظرات نقدية ص ٢٢، د/ عدنان محمد زرزور أستاذ ورئيس قسم أصول الدين جامعة قطر.

المطلب الثالث

القرآن معجزة عقلية معنوية خالدة[1]

أرسل اله تبارك وتعالى رسله للبشر مبشرين ومنذرين بلسان أقوامهم حتى لا تكون لهم حجة بعد ذلك، وأيدهم بالمعجزات التي تدل على صدق دعواهم، وغالبًا ما تكون معجزة النبي من جنس ما نبغ فيه قومه، مبالغة في التحدي، وإمعانًا في التعجيز، ومبطلة لأقوى الأشياء في حسبانهم، حتى تكون برهانًا قاطعًا، وحجَّة ساطعة على صدقه فيما يبلغ عن ربه عَزَّوَجَلَّ، وتقطع على المبطلين ما يمكن أن يخدعوا به الضعفاء، فقد أيد الله عَزَّوَجَلَّ موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وكان عصره عصر سحر - بفلق البحر، وانقلاب العصا حية تسعى، وانفجار الحجر الصلد بعيون الماء. وأيد عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ - وكان

(١) إعجاز القرآن للباقلاني (ت: ٤٠٣هـ) ص ٥، ت: السيد أحمد صقر، ط: دار المعارف - مصر، ط: الخامسة، ١٩٩٧م، المعجزة الكبرى القرآن لأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ) ص ٨ وما بعدها بتصرف، ط: دار الفكر العربي، بدون، القرآن ونقض مطاعن الرهبان ص ٦٤٢، د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط: دار القلم - دمشق، ط: الأولى: ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م، القرآن وإعجازه العلمي ص ٣٢، لمحمد إسماعيل إبراهيم، ط: دار الفكر العربي - دار الثقافة العربية للطباعة، بدون، معجزة القرآن لمحمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ) ص ٩ وما بعدها بتصرف، ط: المختار الاسلامي للطباعة والنشر القاهرة، ط: الأولى، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م، مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٢٦٤، الأصلان في علوم القرآن ص١٧٢، دراسات في علوم القرآن، لمحمد بكر إسماعيل ص ٣٤٥ ، الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ص ١١ وما بعدها بتصرف، د/ عبد الله المصلح، د/ عبد الجواد الصاوي، ط: دار جياد، ط: الأولة ١٤٢٩- ٢٠٠٨..

عهده عهد طب - بإبراء الأكمه والأبرص وخلق الطير من الطين، وإحياء الموتى بإذنه.

لكن هذه المعجزات قاطعة على الجيل الذي شاهدها، وكانت حوادث تقع، ولا يبقى منها إلا الإخبار بها، فلا يعرفها على اليقين إلا من عاينها، فكأنها رسائل موجهة لأقوام الأنبياء المعاصرين لهم والقريبة منهم، وهذه المعجزات وإن كانت محلية موقوتة، إلا أنها كافية للأنبياء قبل نبينا صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ على إقامة الحجة لهم.

وإن كان هناك أمر تجب الإشارة إليه أنه حتى معجزات الأنبياء السابقين لا يُعلم وقوعها على وجه اليقين إلا من القرآن، فهو الذي سجل معجزات نوح وإبراهيم وموسى وعيسى -عليهم الصلاة والسلام، ولولا أنه سجلها ما علمها الناس، وإذا كانت بعض الكتب القائمة اليوم ذكرت بعضها فقد ذكرته مشوبًا بأمور غير صادقة؛ كإخبارهم بأن لوطًا كان مخمورًا فوقع على ابنتيه، وما يكتب فيه مثل هذا عن بعض النبيين لا يمكن أن يكون مقبول الخبر عن سائرهم ومعجزاتهم.

ونعود لحديثنا لكن رسالة النبي محمد لم تكن لقومه خاصة، وإنما كانت للناس عامة على اختلاف أجناسهم وألسنتهم وأزمنتهم وثقافاتهم حتى تقوم الساعة {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ} [الأنبياء: ١٠٧]، ومما أعطي النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: " ... وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً ..." [1] فرسالتَه مستمرة حتى قيامِ الساعة، فلا نبيَّ بعده. وإن كان أجرى

(١) جزء من حديث أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ الصَّلاَةِ، بَابُ قَوْلِ النَّبِيِّ

الله تعالى على يد نبيه خوارق أخرى، مثل: إخباره عن بعض ما يغيب عن حسه، ومثل حنين الجذع إليه، ومثل شق القمر، ومثل الإسراء والمعراج، لكن لم يتحد إلّا بالقرآن الكريم، ولم ير المشركون صرحًا شامخًا يتحداهم به سوى القرآن الكريم. وظل رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، يتحداهم بما كانوا يعتقدون في أنفسهم القدرة عليه، والتمكن منه، ولم يزل يقرعهم ويعجزهم، ويكشف عن نقصهم، حتى استكانوا وذلوا.

والفرق واضح بين المعجزات السابقة للأنبياء عليهم السلام ومعجزة نبينا صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، ذلك أن المعجزة الكونية المحسة، أي التي يحس بها الانسان ويراها تقع مرة واحدة، من رآها فقد آمن بها، ومن لم يرها تصبح خبرا بعد ذلك، فمعجزة النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ معجزة عقلية باقية خالدة، يستطيع كل واحد أن يقول محمد رسول الله وهذه معجزته وهي القرآن، ولهذا رد الله تعالى على المشركين طلبهم لخوارق الآيات، وسؤالهم المعجزات بقولهم {فَلْيَأْتِنَا بِآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأَوَّلُونَ} [الأنبياء: ٥] بكفاية القرآن وعدم الحاجة إلى غيره من الآيات، فالمعجزة كائنة في كتابه المتلو عليهم، وذلك في قوله سبحانه: {وَقَالُوا لَوْلا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ} [العنكبوت:٥٠، ٥١].

فرسالة النبي محمد صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ مناسبة، لعمومها في الأجيال، ولمكانته بين الرسل، ومقامه في هذا الوجود الإنساني إلى يوم القيامة.

=

صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: " جُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهُورًا " ح رقم ٤٣٨.

وإذا نظر الناظر بعين الإنصاف وجد أن الفارق الجوهري بين معجزة عقلية، ومعجزة حسية: أن الأولى تفسح مجال التفكير حتى يكون الإيمان بها بعد بحث ورويَّة. أما المعجزة الحسية فتدهش العقل وتفحمه، فينقاد، وربما فكر فيها بعد الإفاقة، وكانت هذه المعجزة أنسب لدعوات الرسل الوقتية، وكانت المعجزة العقلية أنسب للدعوة الخالدة.

ويلاحظ أيضا في معجزة القرآن .. انها اختلفت عن معجزات الرسل اختلافا آخر، أن كل رسول كانت له معجزة وله كتاب منهج، معجزة موسى العصا ومنهجه التوراة، ومعجزة عيسى الطب ومنهجه الانجيل، لكن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ معجزته هي عين منهجه؛ ليظل المنهج محروسا بالمعجزة، وتظل المعجزة في المنهج، ولذا تكفل الله سبحانه وتعالى بحفظه: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر: ٩] وذلك لأن القرآن معجزة، وكونه معجزة لابد أن يبقى بهذا النص وإلا ضاع الاعجاز.

وقد كانت معجزة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عصر مشرف على العلم معجزة عقلية تحاج العقل البشري وتتحداه إلى الأبد، وهي معجزة القرآن بعلومه ومعارفه، وأخباره الماضية والمستقبلة، فالعقل الإنساني على تقدمه لا يعجز عن معارضته لأنه آية كونية لا قِبل له بها. ولكن عجزه لقصوره الذاتي. فيكون هذا اعترافًا منه بأنه وحي الله إلى رسوله، وأن حاجته إلى الاهتداء به ماسة ليستقيم عوجه، وترقى مواهبه. وهذا المعنى، هو ما يشير إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في قوله: " مَا مِنَ الأَنْبِيَاءِ نَبِيٌّ إِلَّا أُعْطِيَ مَا مِثْلُهُ آمَنَ عَلَيْهِ البَشَرُ، وَإِنَّمَا كَانَ الَّذِي أُوتِيتُ وَحْيًا أَوْحَاهُ اللَّهُ إِلَيَّ، فَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَابِعًا يَوْمَ

القِيَامَةِ" [1] ". فكل معجزة ذهبت بذهاب صاحبها، إلّا معجزة القرآن الكريم، فإنها باقية ما بقي الدهر، والتحدي بها قائم لكل من أنكر رسالة النبي محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وذلك لأن رسالته عامة، ورسالة الأنبياء من قَبلِه كانت خاصة محدودة بأمة معينة -كما هو معلوم.

والقرآن الكريم ركيزة التوحيد الخالص وكنز العقائد الايمانية ومصدر الأحكام الشرعية ودليل الحقائق الكونية كما أنه الملهم بالفتوحات الإلهية والباعث على الجهاد والاجتهاد في العبادة والطاعات، والحافز للعقول إلى التفكر في خلق السماوات والارض وغير ذلك من المجالات المتعلقة بالحسيات والمعنويات، فهو بحق مدار لكل حركات فكرية أو نهضات إصلاحية أو أعمال عمرانية وتقدمية على مدى الزمن. لكن لا يتاح للبشرية إن تنتفع بالقرآن وتهتدى بنوره إلا إذا فهمت نصوصه لفظا ومعنى. فالقرآن قد بلغ إعجازه طورًا غير مألوف ولا معتاد، وحيثما توجه الذهن إلى أية ناحية أو موضوع تناوله القرآن؛ أدرك وجهًا من وجوه الإعجاز، فهو معجز في كل موضوع تناوله، معجز في المنهج، وتشخيص القضية، ووضع الحلول العملية لها. والحق أن القرآن كتاب الإنسانية يجب عليها أن تتدبره على المنهج الاستقرائي، الذى يفتح لنا أبوابًا جديدة من مجالات البحث والتفكير، والإسلام دين المعجزات التي يراها العقل حيثما نظر، وليس بدين المعجزات التي تكفه عن الرؤية، وتضطره بالإفحام القاهر إلى التسليم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كِتَابُ فَضَائِلِ القُرْآنِ، بَابٌ: كَيْفَ نَزَلَ الوَحْيُ، وَأَوَّلُ مَا نَزَلَ، ح رقم ٤٩٨١.

المبحث الثاني

المحكم والمتشابه

ويحتوي على المطالب الآتية:-

- **المطلب الأول: بيان الراجح في المحكم والمتشابه.**
- **المطلب الثاني: نسبة المتشابه من المحكم في الشريعة، وما يقع فيه التشابه.**
- **المطلب الثالث: نسبية التشابه.**
- **المطلب الرابع: استيعاب المحكم والمتشابه قضايا الحياة.**
- **المطلب الخامس: الحكمة من ذكر المتشابهات في القرآن الكريم.**
- **المطلب السادس: من الذي يقرر هذا محكم وهذا متشابه.**

المطلب الأول

بيان الراجح في المحكم والمتشابه[1]

مبحث **المحكم والمتشابه** من المباحث الأصيلة في علوم القرآن وهو مشترك بين علوم القرآن وأصول الفقه [2]، وسيأتي الحديث عن أهميته وعظم الحاجة إلى الإحاطة به ومعرفته.

والأصل في هذا الباب الثلاث آيات الآتية:

قول الحق سبحانه: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ

(١) مباحث في علوم القرآن ص ٢١٩ وما بعدها، لمناع بن خليل القطان (ت: ١٤٢٠هـ)، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط: الثالثة ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.، دراسات في علوم القرآن الكريم، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م، مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ) ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ط: الثالثة: ج٢ ص ٢٧٥، دراسات في علوم القرآن، د / محمد بكر إسماعيل (ت: ١٤٢٦هـ)، ط: دار المنار، ط: الثانية ١٤١٩هـ- ١٩٩٩ ص ١٨٥: ١٨٩.

(٢) ممن تناول ذلك وأفاض فيه د/ فهد بن مبارك بن عبد الله الوهبي، في رسالته التي حصل بها على درجة الدكتوراه من قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى، وهي مطبوعة تحت عنوان المسائل المشتركة بين علوم القرآن وأصول الفقه وأثرها في التفسير، ط: مركز تفسير للدراسات القرآنية بالرياض، ط: الأولى ١٤٣٦ - ٢٠١٥.

يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ}[1]، وقوله: { الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} [2]. **وقوله:** { اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ}[3].

الإحكام والتشابه العام والخاص:

وصف الله القرآن الكريم كله بأنه مُحكم فقال: {الر كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}. أي إنه كلام متقن فصيح يميز بين الحق والباطل، والصدق والكذب. وهذا ما عرفه العلماء بأنه الإحكام العام. كما وصفه في موضع آخر بأنه متشابه فقال: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ} أي إنه يشبه بعضه بعضًا في الكمال والجودة، ويُصدِّق بعضه بعضًا في المعنى ويماثله، وهذا هو التشابه العام. فتشابه الكلام: هو تماثله وتناسبه بحيث يُصدِّق بعضه بعضًا، وكل من المُحكم والمتشابه على هذا المعنى لا ينافي الآخر، فالقرآن كله مُحكم بمعنى الإتقان، وهو متماثل يُصدِّق بعضه بعضًا، فإن الكلام المُحكم المتقن تتفق معانيه وإن اختلفت ألفاظه، فإذا أمر القرآن بأمر لم يأمر بنقيضه في موضع آخر، وإنما يأمر به أو بنظيره، وكذلك الشأن في نواهيه وأخباره، فلا تضاد فيه ولا اختلاف: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافاً كَثِيراً}[4].

---

(١) آل عمران: [٧]

(٢) هود:الآية ١

(٣) الزمر: من الآية ٢٣

(٤) النساء: من الآية ٨٢

لكن في الموضع الثالث وصفه باشتماله على المحكم والمتشابه فقال: {هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا}. فلا بد أن يكون للإحكام والتشابه هنا معنى غير المعنى الأول، وهو خاص ببعض الآيات دون بعض، فهنا إحكام خاص وتشابه خاص، ولهذا وقع الاختلاف بين العلماء في تعريف المحكم والمتشابه هنا.

وقبل أن أذهب للحديث عن أقوال السادة العلماء، لننظر نظرة فيه شيء من التحليل تبين كيف ترتبط هذه الآيات ببعضها البعض ارتباطا وثيقا مما يزيد الأمر إعجازا مع إعجازه:

إذا نظرنا بنظرة تحليلية نجد أن صيغة "فعَّل" في قوله تعالى {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ} تدل على التنزّل الموحي بالتدرج، ولأن التشابه يعني التقارب والتماثل، فإن المعنى الذي يمكن أن نستنبطه أن القرآن بعطائه المتجدد، وبكونه خطابا يتجاوز حدود المكان وتحولات الزمان، كان لابد أن يكون مستوعبا ومتجاوزا يتكشف عبر الزمان والمكان عن المعاني المستوعبة، ثم يتجاوز إلى أزمنة وأماكن أخرى، ولكن كل تلك المعاني المستوعبة تنبع من معين واحد، فالقرآن ينتج معان متجددة كلها متسقة ومنضبطة، وهنا تبرز صفة الإحكام فلأنه متشابه بكل خصائصه التي تحدى بها الخلق كان لابد أن يكون محكما في بنائه كله وإلا تداخلت المعاني. والإحكام وحده بدون تفاعل وجدل مع صفة التشابه (التي تقتضي التفاعل والمشاركة) قد يؤدي إلى تضييق مجالات التأويل والتدبر وإدراك حقيقة

المكنون الذي ينكشف عبر العصور فيمكِّن القرآن من القيام بمهام الاستيعاب والتجاوز.

هذا عن الإحكام والتشابه بالمعنى العام، أما المعنى الخاص فيدل على تركز هذه الصفة أو تلك في بعض المواضع في القرآن الكريم أكثر من غيرها، مما جعلها أم الكتاب، وجعل الأخرى أكثر قابلية لتعدد الفهم، والتأويلات، واستيعاب ما تفرزه القرون من مشكلات إذا أخذت وحدها منفصلة عن غيرها، ولكن لابد من أخذهما معا ليبرز المكنون في صورة آيات مبينات. (١)

وها نحن نرجع لآراء العلماء في المحكم والمتشابه باعتبار أن لكل منهما معنى غير الآخر، فقد كثرت آراؤهم في هذا الموضوع وتعددت وجهات نظرهم، فمنهم من راعى وضوح النص، ومنهم من راعى دلالته، ومنهم من راعى استقلال النص في دلالته على المعنى، ومنهم من راعى الاشتباه على القارئ بسبب تكرار الألفاظ، ومنهم من راعى الاشتباه على القاريء في معرفة ثبوت الحكم من النص أو نسخه ..... (٢) إلى غير ذلك، وما رأيته من ترجيح لبعض الآراء قد دار بين ترجيح رأي الفخر الرازي رحمه الله تعالى والراغب الأصفهاني.

وقد رأى الشيخ الزرقاني(٣)- رحمه الله تعالى- بعد عرضه لكثير من

(١) نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه٣٨، ٣٩ بتصرف، أ. د / طه العلواني، ط: دار السلام للطباعة والنشر بالقاهرة ط: ٢٠١٠.

(٢) المسائل المشتركة بين علوم القرآن وأصول الفقه ص ١٩٥ وما بعدها.

(٣) مناهل العرفان ج ٢ ص ٢٧٤، ٢٧٥ بتصرف.

هذه الآراء أنه لا يجد بينها تناقضا ولا تعارضا بل نلاحظ بينها تشابها وتقاربا مرجحا رأي الرازي" أن المحكم ما كانت دلالته راجحة وهو النص[١] والظاهر[٢] أما المتشابه فما كانت دلالته غير راجحة وهو المجمل[٣] والمؤول[٤] والمشكل[٥] "ذاكرًا اختيار كثير من المحققين له، ووصفه بأنه

---

(١) النص: ما أفاد بنفسه معنى صريحًا لا يحتمل غيره، وقيل: "ما لا يحتمل التأويل "ومثاله قوله تعالى: {فَصِيَامُ ثَلاثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشَرَةٌ كَامِلَة} فإن قوله "عشرة" دفع توهم دخول الثلاثة في السبعة، وقوله "كاملة" تأكيد لهذا المعنى ودفع لأي احتمال آخر غير العشرة. دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي ص ٤٤٦، ٤٤٧.

(٢) الظاهر: وهو ما أفاد بنفسه معنى صريحًا واحتمل غيره احتمالًا مرجوحًا، "وقيل: ما يسبق إلى الفهم منه عند الإطلاق معنى مع احتمال غيره احتمالًا مرجوحًا. ومثاله قوله تعالى: {وَلا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهُرْنَ} فإنه يقال لانقطاع الدم طهر، وللاغتسال منه طهر، والثاني أظهر وهو الراجح. المرجع السابق.

(٣) المجمل: فهو الذي اختفى المراد منه بنفس لفظه حتى بينه الشارع؛ نحو لفظ "الصلاة" معناها في اللغة: الدعاء. وبيَّن الشارع المراد منها حين أمرنا بها في قوله: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} بيَّنها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله وفعله، وأمرنا قائلًا: "صلوا كما رأيتموني أصلي". الأصلان في علوم القرآن ص ٣٥٩.

(٤) المؤول: وهو ما حمل لفظه على المعنى المرجوح لدليل. ومثاله قوله تعالى: {وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ} فالظاهر من كلمة جناح هو جناح الريش، ويستحيل حمله على الظاهر لاستحالة أن يكون للإنسان أجنحة فيحمل على الخضوع وحسن الخلق وبهذا صرف اللفظ عن المعنى الراجح إلى المعنى المرجوح لدليل وهو هنا الاستحالة. دراسات في علوم القرآن - فهد الرومي ص ٤٤٧.

(٥) المشكل: فهو الذي أشكل على السامع طريق الوصول إلى المعنى الذي وضع له الواضع الاسم، أو أراده المستعير لدقة المعنى في نفسه لا بعارض؛ مثل قوله تعالى:

أهداها سبيلا وأوضحا بيانا؛ لأن أمر الإحكام والتشابه يرجع فيما نفهم إلى وضوح المعنى المراد للشارع من كلامه وإلى عدم وضوحه فتعريف الرازي جامع مانع من هذه الناحية لا يدخل في المحكم ما كان خفيا ولا في المتشابه ما كان جليا لأنه استوفى وجوه الظهور والخفاء استيفاء تاما في بيان تقسيمه الذي بناه على راجح ومرجوح والذي أعلن لنا منه أن الراجح ما كان واضحا لا خفاء فيه وأن المرجوح ما كان خفيا لا جلاء معه.

ورغم ذلك نجد الشيخ الزرقاني -رحمه الله تعالى- يذكر تقسيم الأصفهاني بعد ذلك لكن يعقبه بقوله " وهو كلام جيد غير أن في بعضه شيئا. وممن رجح كذلك رأي الرازي د/ صبحي الصالح [1]، قائلا: إن الآراء تئول إليه؛ ولأن المجمل يحتاج إلى تفصيل، والمؤول لا يدل على معنى إلا بعد التأويل، والمشكل خفي الدلالة فيه لبس وإبهام. ووضوح الدلالة في المحكم يغني عن البحث عنه، لأن فيه كفاية لإفهامنا المراد منه، ولكن خفاء المتشابه جدير أن يشغلنا بعض الشيء، لكي نعرفه.

=

{نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ} فإنها مشكلة من حيث معناها في حق دبر المرأة: أهو مثل قبلها في الحل، أو مثل دبر الرجل في الحرمة؟ فطلبنا معنى كلمة: "أنَّى" فوجدناها مشتركة بين معنى "كيف" ومعنى "أين".وبعد التأمل وجدناها بمعنى "كيف" في هذا الموقع؛ لأن الله تعالى سماهن حرثًا؛ أي: مزرعًا للأولاد، والدبر موضع الفرث لا الحرث، والله تعالى حرم الوطء في القبل حالة الحيض للأذى العارض. فالأذى اللازم الموجود في الدبر بطريق الأَوْلَى يكون مانعًا. الأصلان في علوم القرآن ص ٣٥٩.

(١) مباحث في علوم القرآن ص ٢٨٢، د/ صبحي الصالح، الناشر: دار العلم للملايين، ط: الطبعة الرابعة والعشرون كانون الثاني/ يناير ٢٠٠٠.

أقول: ألا يعد ذلك من باب توسيع دائرة المتشابه، وجعله أكثر من المحكم رغم أن النص على أن المحكم هو الأعم الأغلب أم الكتاب وأصله.

كذلك د/ محمد بكر إسماعيل[1] -رحمه الله تعالى- لم يرتض ذلك قائلا: إن هذه الأقوال تبدو متقاربة، غير متعارضة، ولكنها في نظري لا تفي بالمطلوب إثباته من الخصائص الجامعة لمسائل كلٍّ من المحكَم والمتشابِه، وهو الأمر الذي يجعل كلًا منهما غير متميّز عن الآخر أكمل تمييز. والراجح من الأقوال ما قاله الراغب في مفرداته، فقد أجاد وأفاد، وحقَّقَ المراد. قال -رحمه الله تعالى: "والمتشابه من القرآن ما أُشْكِلَ تفسيره لمشابهته بغيره، إمَّا من حيث اللفظ أو من حيث المعنى. فقال الفقهاء: والمتشابه ما لا ينبئ ظاهره عن مراده، وحقيقة ذلك أن الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب: محكَمٌ على الإطلاق، ومتشابِهٌ على الإطلاق، ومحكَمٌ من وجهٍ ومتشابِهٌ من وجهٍ. فالمتشابه في الجملة ثلاثة أضرب:

متشابه من جهة اللفظ فقط، ومتشابه من جهة المعنى فقط، ومتشابه من جهتهما.

والمتشابه من جهة اللفظ ضربان: أحدهما يرجع إلى الألفاظ المفردة، وذلك إما من جهة غرابته نحو "الأَبُّ"[2] .....

(١) دراسات في علوم القرآن، د / محمد بكر إسماعيل ص ١٨٥.

(٢) المرعى المتهيّئ للرعي والجز. المفردات في غريب القرآن مادة " أب "، للراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، ت: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - =

و"يزفون"[1]، وإما من جهة مشاركة في اللفظ كاليد والعين [2].

والثاني يرجع إلى جملة الكلام المركَّب، وذلك ثلاثة أضرب:

ضرب لاختصار الكلام نحو: {وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَى فَانْكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ} .

وضرب لبسط الكلام نحو: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ} لأنه لو قيل: ليس مثله شيء، كان أظهر للسامع.

وضرب لنظم الكلام، نحو: {أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا، قَيِّمًا}.

تقديره: الكتاب قيمًا، ولم يجعل له عوجًا.

والمتشابه من جهة المعنى: أوصاف الله تعالى، وأوصاف يوم القيامة، فإن تلك الصفات لا تتصوَّر لنا؛ إذ كان لا يحصل في نفوسنا صورة ما لم نحسه، أو لم يكن من جنس ما نحسه.

والمتشابه من جهة المعنى واللفظ جميعًا خمسة أضرب:

الأول: من جهة الكمية كالعموم والخصوص نحو: {اقْتُلُوا الْمُشْرِكِين}.

=

دمشق بيروت، ط: الأولى - ١٤١٢ هـ.

(١) الزفيف: هو الإسراع الشديد في خِفَّة، مأخوذ من زَف النعامة، وهو هزّ جناحيها بشدَّة عند إسراعها من وجه خطر يداهمها. المفردات مادة " زف ".

(٢) فإن اليد تطلق على العضو، وعلى القدرة، وعلى النعمة، والعين تطلق على عضو الإبصار والجاسوس، والذهب والفضة، وعين الماء، وغير ذلك.

والثاني: من جهة الزمان كالناسخ والمنسوخ، نحو: {اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ}.

والرابع: من جهة المكان والأمور التي نزلت فيها، نحو: {وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا}

وقوله: {إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ}.فإن مَنْ لا يعرف عادتهم في الجاهلية يتعذَّر عليه معرفة تفسير هذه الآية.

والخامس: من جهة الشروط التي بها يصحُّ الفعل أو يفسد؛ كشروط الصلاة والنكاح.

وهذه الجملة إذا تصوِّرَت علم أن كل ما ذكره المفسِّرون في تفسير المتشابه لا يخرج عن هذه التقاسيم.

ثم جميع المتشابه على ثلاثة أضرب:

ضرب لا سبيل للوقوف عليه، كوقت الساعة، وخروج دابة الأرض، وكيفية الدابة، ونحو ذلك.

وضرب للإنسان سبيل إلى معرفته: كالألفاظ الغريبة والأحكام الغلِقة.

وضرب متردِّدٌ بين الأمرين، يجوز أن يختص بمعرفة حقيقته بعض الراسخين في العلم، ويخفى على من دونهم، وهو الضرب المشار إليه بقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: "اللهمَّ فقِّهه في الدين وعلمه التأويل".[1]

انتهى كلام الراغب، فأنهى إلينا به منتهى ما كنا نبتغيه في تفسير

(١) المفردات مادة " شبه " ص ٤٤٣: ٤٤٥.

المتشابه، وتمييزه عن المحكم بتعريفٍ جامع لأطرافه ومسائله، مانع من دخول غيره فيه، لم يترك الباحث فيه على ظمأٍ حتى ارتوى. وقريب منه قول الإمام الرازي ومن نحا نحوه. وقد نحا هذا النحو د/ القيعي في الأصلان فقال:" والذي أختاره هو ما ذهب إليه الراغب في مفرداته ".

إذن مرجع الرأيين كما رأينا مرده إلى خفاء مراد الشارع، فهو منشأ التشابه سواء كان هذا الخفاء راجع إلى اللفظ، أو إلى المعنى أو إليهما معا، ويؤول أمر المتشابه في النهاية إلى حصره في هذا التقسيم النهائي من كونه ثلاثة أضرب تحكم المتشابه الحقيقي الذي لا طريق إلى معرفته، والمتشابه الإضافي بنوعيه الذي يمكن التوصل إليه على اختلاف في الجهد والتوصل.

المطلب الثاني

نسبة المتشابه من المحكم في الشريعة، وما يقع فيه التشابه.

- نسبة المتشابه من المحكم في الشريعة:

المتشابه وإن كثرت أقسامه وفروعه بالنسبة للمحكَم من نصوص الشريعة قليل، فقد جاء النصّ الصريح على أن الآيات المحكمات أمّ الكتاب، وأم الشيء: معظمه وعامته، وأيضًا الأصل والعماد، فإذا كان ذلك كذلك، فقوله تعالى: {وَأُخَرُ مُتَشَابِهَات} إنما يُرَادُ بها القليل.

- كما أن المتشابه لو كان كثيرًا لكان الالتباس والإشكال كثيرًا وهو حيرة، وعند ذلك لا يطلق على القرآن أنه بيان وهدى.

كذلك ثبت استقراءًا بالنظر في أدلة الشريعة، أنه استقت أحكامها، وانتظمت أطرافها على وجه واحد، قال تعالى: {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ}. وقال: {تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْحَكِيم}. وقال تعالى: {اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا}. يعني: يشبه بعضه بعضًا، ويصدِّق أوله آخره، وآخره أوله في النزول.[1]

ما يقع فيه التشابه:

التشابه لا يقع في القواعد الكلية، وإنما يقع في الفروع الجزئية. وقد

(١) الموافقات للإمام الشاطبي (ت: ٧٩٠هـ) ج ٣ ص ٣٠٧: ٣٠٩ بتصرف، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، ط: الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.، دراسات في علوم القرآن، د/ محمد بكر إسماعيل ص ١٨٩ وما بعدها بتصرف.

عُرِفَ ذلك بالاستقراء، والتتبُّع لأصول الشريعة، وإنما كان التشابه في الفروع والجزئيات دون الكليات؛ لأن الأصول لو دخلها التشابه لكان أكثر الشريعة من المتشابه وهذا باطل. وقد عرفنا أن المتشابه بالنسبة إلى الحكم قليل. وذَلِكَ أَنَّ الْفَرْعَ مَبْنِيٌّ عَلَى أَصْلِهِ؛ يَصِحُّ بِصِحَّتِهِ، وَيَفْسُدُ بِفَسَادِهِ، وَيَتَّضِحُ بِاتِّضَاحِهِ، وَيَخْفَى بِخَفَائِهِ، فَكُلُّ وَصْفٍ فِي الْأَصْلِ مُثْبَتٌ فِي الْفَرْعِ؛ وَذَلِكَ يَقْتَضِي أَنَّ الْفُرُوعَ الْمَبْنِيَّةَ عَلَى الْأُصُولِ الْمُتَشَابِهَةِ مُتَشَابِهَةٌ، فَلَا يَكُونُ الْمُحْكَمُ أُمَّ الْكِتَابِ، لَكِنَّهُ كَذَلِكَ؛ فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْمُتَشَابِهَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ مِنْ أُمَّهَاتِ الْكِتَابِ.[1] يقول الشيخ مناع القطان: وقد تأتي هذه الأصول الدينية في أكثر من موضع بالقرآن مع اختلاف اللفظ والعبارة والأسلوب إلا أن معناها يكون واحدًا، فيشبه بعضها الآخر ويوافقه معنى دون تناقض، ما عدا تلك الأصول من فروع الدين فإن في آياتها من العموم والاشتباه ما يُفسح المجال أمام المجتهدين الراسخين في العلم، حتى يردوها إلى المُحكم ببناء الفروع على الأصول، والجزئيات على الكليات وإن زاغت بها قلوب أصحاب الهوى، وبهذا الإحكام في الأصول والعموم في الفروع كان الإسلام دين الإنسانية الخالد الذي يكفل لها خير الدنيا والآخرة على مر العصور والأزمان. [2]

(١) الموافقات ج٣ ص٣٢٢، ٣٢٣: دراسات في علوم القرآن، د/ محمد بكر إسماعيل ص ١٩٠ وما بعدها.

(٢) مباحث في علوم القرآن، لمناع القطان ص ٢١٩.

المطلب الثالث

نسبية التشابه

في بداية الأمر لابد وأن نعلم أن السادة العلماء قد اتفقوا على أنه لا يوجد في القرآن ما لا معنى له أصلا. (١) قال ابن تيمية:" وَأَقْوَالِ السَّلَفِ عَلَى أَنَّ جَمِيعَ الْقُرْآنِ مِمَّا يُمْكِنُ عِلْمُهُ وَفَهْمُهُ وَتَدَبُّرُهُ وَهَذَا مِمَّا يَجِبُ الْقَطْعُ بِهِ" (٢).

قال ابن جرير:" وفي حَثِّ الله عَزَّوَجَلَّ عباده على الاعتبار بما في آي القرآن من المواعظ والبينات ما يدلّ على أنَّ عليهم معرفةَ تأويل ما لم يُحجب عنهم تأويله من آيه. لأنه محالٌ أن يُقال لمن لا يفهمُ ما يُقال له ولا يعقِل تأويلَه: "اعتبرْ بما لا فَهْم لك به ولا معرفةَ من القِيل والبيان والكلام"- إلا على معنى الأمر بأن يفهمَه ويفقَهَه، ثم يتدبَّره ويعتبرَ به. فأما قبلَ ذلك، فمستحيلٌ أمرُه بتدبره وهو بمعناه جاهل." (٣) ويقصد بقوله:" ما لم يُحجب عنهم تأويله" ما لا يعلم تأويله إلا الله.

كذلك لم تأت الآثار قاطعة بأن بعض النصوص هذه محكمة والبعض الآخر متشابه، لكن الوصف الوارد عندنا في القرآن الكريم أنه اشتمل على المحكم وهو الأعم الأغلب من النصوص والآخر متشابه، وقد تمت الإشارة إلى الحكمة من ذلك عبر ما سبق وسيأتي المزيد من البيان إذ هو موضوع البحث.

---

(١) المسائل المشتركة بين علوم القرآن وأصول الفقه ص ١٩٠.

(٢) مجموع الفتاوى ج١٧ ص ٣٩٠.

(٣) تفسير الطبري "جامع البيان " ت شاكر ج١ ص ٨٢ بتصرف.

وما دامت ليست هناك نصوص تقطع بأن هذه هي جملة الآيات المتشابهات وهذه المحكمات إذن التشابه مرده إلى المفسر أو الفقيه أو من يتعامل مع النص على خلاف تخصصه، وما ينهل من معينه من علوم كتاب الله تعالى، كذلك فمن أهل التفسير لم نجدهم اتفقوا حتى ولو على نص واحد فيما بينهم أنه متشابه.

إذن التشابه أمر نسبي يختلف من شخص لآخر.

يقول ابن تيمية:" قَدْ يُشْكِلُ عَلَى كَثِيرٍ مِنْ النَّاسِ نُصُوصٌ لَا يَفْهَمُونَهَا فَتَكُونُ مُشْكِلَةً بِالنِّسْبَةِ إلَيْهِمْ لِعَجْزِ فَهمَهُمْ عَنْ مَعَانِيهَا وَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ فِي الْقُرْآنِ مَا يُخَالِفُ صَرِيحَ الْعَقْلِ وَالْحِسِّ إلَّا وَفِي الْقُرْآنِ بَيَانُ مَعْنَاهُ فَإِنَّ الْقُرْآنَ جَعَلَهُ اللَّهُ شِفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَبَيَانًا لِلنَّاسِ فَلَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ بِخِلَافِ ذَلِكَ؛ لَكِنَّ قَدْ تَخْفَى آثَارُ الرِّسَالَةِ فِي بَعْضِ الْأَمْكِنَةِ وَالْأَزْمِنَةِ حَتَّى لَا يَعْرِفُونَ مَا جَاءَ بِهِ الرَّسُول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ." [1]

ويقول د/ محمد مصطفى آيدين في مقدمته لتحقيق كتاب درة التنزيل وغرة التأويل للخطيب الإسكافي: " اختلف المتشابه بالنسبة للأفراد والعلماء بحسب دائرة علم كل منهم، فما يهتدي إليه عالم قد يغفل عنه الآخر، وقد تشتبه الآية على عالم ولا تشتبه على غيره وهكذا ". [2]

(١) مجموع الفتاوى ج١٧ ص ٣٠٧ ، لتقي الدين بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، ط: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.

(٢) درة التنزيل وغرة التأويل ج١ص ٧٢، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت: ٤٢٠هـ)، دراسة وتحقيق وتعليق: د/ محمد مصطفى

كما أن علوم العلماء ما لم تستند إلى نص يقطع أن مراد الله هو كذا، فكله يدور في دائرة الإمكان والاجتهاد، دون قطع على أن المراد من دلالة النص هو كذا، ولذا كان وجوب التفويض فيما لم يوفق فيه من اجتهاد.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى:" قَدْ قَالَ أُبَيٌّ- يقصد ابن كعب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ -: مَا اشْتَبَهَ عَلَيْك فَكِلْهُ إلَى عَالِمِهِ " فَهَذَا حَقٌّ، وَهُوَ الْوَاجِبُ عَلَى مَنْ سِوَى الرَّسُولِ؛ فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ بَعْدَ الرَّسُولِ لَا بُدَّ أَنْ يَشْتَبِهَ عَلَيْهِ بَعْضُ مَا جَاءَ بِهِ، وَكُلُّ مَنْ اشْتَبَهَ عَلَيْهِ شَيْءٌ وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يَكِلَهُ إلَى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ، فَإِنْ تَبَيَّنَ لَهُ صَارَ عَالِمًا مِثْلَهُ، وَإِلَّا وَكَّلَهُ إلَيْهِ، وَلَمْ يَتَكَلَّفْ مَا لَا عِلْمَ لَهُ بِهِ؛ فَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ عَلَيْنَا فِي كِتَابِ رَبِّنَا وَسُنَّةِ نَبِيِّنَا وَأَقْوَالِ أَصْحَابِهِ، وَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمًا؛ فَمَنْ خَفِيَ عَلَيْهِ بَعْضُ الْحَقِّ فَوَكَلَهُ إلَى مَنْ هُوَ أَعْلَمُ مِنْهُ فَقَدْ أَصَابَ"[1].

ولتمام الفائدة فكما يشتبه على البعض قد يفهم البعض منه الكثير والكثير وقد يكون من نفس الجملة ما لا يفهمه كثير من الناس، وهذا معلوم منذ عهد الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ. أخرج الإمام البخاري بسنده عن معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: "مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَإِنَّمَا أَنَا قَاسِمٌ وَاللَّهُ يُعْطِي، وَلَنْ تَزَالَ هَذِهِ الأُمَّةُ قَائِمَةً عَلَى أَمْرِ اللَّهِ،

=

آيدين، الناشر: جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

(١) إعلام الموقعين عن رب العالمين ج٢ ص ١٧٧. لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ت: محمد عبد السلام إبراهيم، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ"[1]، قال مسروق: "جالست أصحاب محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فوجدتهم كالإخاذ - يعنى الغدير - فالإخاذ يروى الرجل، والإخاذ يروى الرجلين، والإخاذ يروى العشرة، والإخاذ يروى المائة، والإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم".[2]

وفي كل الأمور لابد من آليات وعلوم يجب توافرها عند من أراد أن يتشرف بالتعامل مع كتاب الله تعالى.

يقول د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي:" القرآن غني في معانيه ودلالاته، والآيات تنشر على القارئ من معانيها ودلالاتها حسب حالته في التعامل معها، ودرجة استعداده في التلقي عنها، وهذا القرآن لا يعطى القارئ إذا كان قاعدا عن العمل به، إنه لا يفتح كنوزه إلّا لمن يتحرك به، ولا ينشر ظلاله إلّا على من يقبل عليه، ولهذا لا بد للقارئ من سلوك الطريق المضمونة الصحيحة لفهمه والتعامل معه، واستخراج كنوزه ومعانيه وحقائقه"[3].

إذن بعد كل ذلك نستطيع القول بأن الاشتباه والالتباس أمر يخص المفسر حسب علمه ورسوخه.

كما نستطيع الجزم بعدم وجود غوامض وملتبسات لا نستطيع الوصول

---

(١) صحيح البخاري، كتاب العلم، بَابٌ: مَنْ يُرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، ح رقم ٧١.

(٢) التفسير والمفسرون ج١ ص ٣٠، د/ محمد السيد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.

(٣) مفاتيح للتعامل مع القرآن ص ١٤٧، د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي، الناشر: دار القلم - دمشق، ط: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.

إليها داخل القرآن الكريم.

فمن المعروف أن الغموض والالتباس من عيوب الكلام، وهو يقع إما بقصد المتكلم، أو على غير قصد منه، أو أن يكون لا سبيل أمامه إلا التعبير بهذه الصيغة الغامضة لعيٍّ فيه، أو لقصور في اللغة، أما الاحتمال الأول فينافي ما يُفهم من القرآن الكريم ذاته بأنه بيان للناس لقطع حجتهم، وأما الاحتمال الثاني والثالث فلا يتصور إلا في حق المخلوق، أما الاحتمال الرابع فمردود أيضا بقوله " { قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا} [الإسراء: ٨٨] فهذه الآية تدل على أن بنية القرآن الكريم وإن استخدمت لسانا بشريا وخاطبت بشرا، فإنها طوعت هذا اللسان ليكون أهل لحمل الخطاب القرآني.

ولكتاب الله لسان خاص به، وله خصائصه المنفردة، وقانونه الذي لا يعرف إلا باستقراء معهوده، وإدراك نظمه وسياقه وأساليبه وعاداته، والقرآن الكريم كل متكامل ذو وحدة بنائية يفهم الجزئي منه بالرد إلى الكلي في وحدته البنائية، ومن يفعل ذلك ويلتزم به لا يمكن أن يفهم أن الآيات المتشابهات هي الآيات الغامضة الملتبسة، فإنه لا يمكن أن يقع الغموض والالتباس في الخطاب الإلهي الذي نص على كونه بيان للناس، وتبيانا لكل شيء وآياته مبينات ؟ فإنه لو حدث هذا لكان رد من تحداهم القرآن بأن هذا التحدي جرى في أمور متشابهة موهمة غير مفهومة، ولاحتجوا بأن ذلك مصدر عجزهم، وليس الأسلوب والنظم والبلاغة والفصاحة[1].

(١) نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم والمتشابه ص ١١ بتصرف.

المطلب الرابع

استيعاب المحكم والمتشابه قضايا الحياة

ذكرنا سابقا كيف كان إعجاز القرآن في أوجه متعددة، وكيف لم تصل العقول إلى حدوده، والأمر معول على التدبر والاستنباط. ولا عجب في ذلك فقد أعطى القرآن الكريم كل جيل على قدر ما تمكنه منه ثقافته، ويسمو إليه فهمه، مع الواقعية والتكامل في المنهج الذي استوعب كل مسائل الفرد والجماعة من بدايتها إلى نهايتها، وحلل قضاياهم، وأوجد لهم العلاج الجذري، مما هو فريدا في بابه، فلم يُسبق إليه شرع قبله، ولا لحق به قانون بعده {وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا } [الإسراء: ٨٢]. [(١)] كل ذلك بتشريع إلهي تام وشامل؛ لأن حاجة الإنسان إلى التشريع تنبع من حاجته إلى التكامل.[(٢)] ولا يخفى أنه جاء بأسلوب يفهمه البدائي، ويدركه العالم بعلمه، فهو لجميع الناس أحمرهم وأسودهم وأبيضهم، سواء كان في مجاهل الأرض أم في عليائها.

وإذا كانت النصوص محدودة والحوادث متجددة غير متناهية، ولابد من حكم الله تعالى في كل قضية، إلا أن الأصول التشريعية لا قصور في كفايتها ولا تحتاج إلى تكميل في أحكامها التشريعية مهما طال الزمن

---

(١) مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث للنقراشي ص ٦ وما بعدها بتصرف، الواضح في علوم القرآن ص ١٥٨ د/ مصطفى البغا، محي الدين مستو، ط دار الكلم الطيب بدمشق، ط الثانية ١٤١٨- ١٩٩٨. ص ١٥٨ بتصرف.

(٢) جدلية الثابت والمتغير على ضوء القرآن الكريم لجعفر النمر ص ٧.

وتغيرت أوضاع الحياة ؛ لأنها من وضع الحكيم العليم الخبير الذي لا تخفى عليه خافية، ومن حكم الله تعالى أن ترك مساحة واسعة ليأخذ الاجتهاد مجاله ويؤدي دوره بالاستنباط المباشر وغير المباشر، من أجل إدراك حكم الشارع والكشف عنه، إذ المجتهد ليس مشرعا، وإنما هو مدرك لحكم الله وكاشف له، وإذا وقع خطأ أو قصور فقد يقع في كيفية الاستدلال بهذه الأصول والاستنباط في فهم مقاصدها وأسرار أحكامها وإدراكها واتساع مجال تفكيرها دون تعصب لرأي.[1]

كل ذلك دون تغيير أو تبديل، بل إن في النصوص صلاحيات ومكنونات تبرز لأهل كل عصر فيجدوا مسألتهم، وقد تكون من المحكم فيتضح ويزيد معناه على وضوحه، أو من المتشابه فتظهر جمعا بين الأدلة. فمن الصعب بل من المحال الإحاطة بكنه المعنى فلا يحيط باللغة إلا معصوم، وقد تكفل الحق أن يكون عطاؤه لكل زمان ومكان إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها { سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ} [فصلت: ٥٣]. فالقرآن قد تجاوز عصر التلقي إلى عصور أخرى أعطاهم ما يتناسب مع سقفهم المعرفي وثقافتهم، فنرى اللفظة الواحدة قد تأتي بمعان عدة على مدى عصور وأزمنة مختلفة، والأمر الواجب التأكيد عليه: أن القرآن ليس حكرا على أحد ولا

(١) قضايا فقهية في المال والاقتصاد ص ١٣، د / نزيه حماد أستاذ الفقه وأصوله في كلية التربية بجامعة أم القرى، ط: دار القلم بدمشق، ط: الأولى ١٤٢١-٢٠٠١، أعمال وبحوث المؤتمر العالمي الأول لدار الافتاء المصرية " الفتوى إشكاليات الواقع وآفاق المستقبل "أغسطس ٢٠١٥ ج٢ ص ٧٢.

يستطيع أحد مهما كان إدراكه وفهمه ومستوى عصره أن يجزم أن مراد الله من كتابه ما فهمه فقط.

يقول د / أبو الوفا أحمد عبد الآخر: ولقد أتاح البيان المعجز للقرآن عن طريق المتشابه الذي يحتمل التأويل والاجتهاد في الرأي وعن طريق الإشارات اللماحة إلى بعض الحقائق من غير تعرض للتفصيل، إلى غير ذلك من أساليب البيان أتاح كل هذا الإعجاز في التعبير لأن يواصل العلماء اغترافهم من فيوض المعاني القرآنية ما وسعهم العقل، وساعدهم الفكر وأعانهم الإخلاص، وسيظل العلماء في كل فن وعلم يواصلون الاغتراف ما بقي الإنسان على وجه الأرض.(١)

فالآيات المتشابهات اشتملت على دقائق المعاني، ونفائس المعارف التي يتفاوت فيها العلماء، وكل ذي باع طويل في الذكاء والصفاء، ودقة النظر وكل يقطف من ثمارها على قدر طول باعه، وقدرته على الترقي وذلك مصداق قوله "{قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ} [الزمر: ٩] وأولو الألباب هؤلاء هم المذكورون في قوله سبحانه {وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ } [آل عمران: ٧] (٢).

وإذا كان العقاد يصف الإسلام بأنه فتح أبواب المعرفة وحث متبعيه

(١) المختار من علوم القرآن" د / أبو الوفا أحمد عبد الآخر ج ١ ص ٢٤٧.

(٢) علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه ص ٢٧١، د/ عدنان زرزور، ط: دار الإعلام بالأردن، ط: الأولى ١٤٢٦ -٢٠٠٥.

على ولوجها وقبول كل مستحدث من العلوم على تقدم الزمن وتجدد أدوات الكشف ووسائل التعليم، وأنه لم يقعدهم عن الطلب وينهاهم عن التوسع والبحث والنظر بحجة أنهم حاصلون على جميع العلوم [1]. فلا شك أن القرآن مصدر التشريع الأول كان على رأس الحاضين على ذلك.

بعد كل ذلك أستطيع أن أجزم يقينا بأن القرآن الكريم قد خاطب جميع العقول والطبقات، فلم يبق بصورة واحدة وفهم واحد، وذلك لم يحدث، فها نحن زهاء القرن الخامس عشر الهجري وعطاء القرآن لم ينقطع لأن مورده الأصيل هو الوحي الإلهي الذي أتم الدين وأكمله حتى يصلح لأهل الأرض جميعا، على اختلاف مشاربهم إلى قيام الساعة، فالقرآن لم يوقف العقل إلا فيما غاب عنه من أمور العقيدة، فيتعامل معها بقدر ما نصت عليه النصوص، أما فيما يخص فقههم ومعيشتهم فقد قسم سبحانه إلى محكم ومتشابه، ليحدث التفاعل المستمر للعقل البشري مع الوحي الإلهي، ساعيا إلى تحقيق مراده ومقصده، ملتزما في كل الأحوال بأحكامه وحِكمه والأصول والضوابط الشرعية، وإذا لم يكن هذا التفاعل والتجديد فأين ما جاء عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: " إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا" [2]، أيكون التجديد بمجرد قراءة النصوص وعمل الفقهاء القدامى والوقوف عليها وفقط، أم البحث في الأصول والقضايا

(١) الفلسفة القرآنية لعباس محمود العقاد ص ١٢، ط دار نهضة مصر للطباعة والنشر بالقاهرة.

(٢) سنن أبي داود كِتَاب الْمَلَاحِمِ، بَابُ " مَا يُذْكَرُ فِي قَرْنِ الْمِائَةِ "، ح رقم ٤٢٩١، صححه الألباني.

والنوازل والاستدلال عليها من خلال مصدر التشريع، ورفع الحرج عن الأمة.

المطلب الخامس

الحكمة من ذكر المتشابه في القرآن الكريم[1]

المتشابه منه ما يمكن علمه للراسخين في العلم، ومنه ما لا يمكن علمه ولا يعلمه إلا الله. ولكل نوع حِكم خاصة به:

من حكم ذكر المتشابه الذي يمكن علمه :

- **دفع البشرية نحو العلم والتعلم، فآيات الله في كتابه منها واضحة الدلالة، ومنها ما يحتاج الوصول إلى معرفته إلى تأمل، وقوى البشر ومداركهم العقلية تختلف، فهناك من المعاني ما يفهمه كل البشر، ومنها ما لا يفهمه إلا العلماء، ومنها ما لا يدرك المراد به أحد من البشر ولا يعلمه إلا الله.** ومع الحاجة تقع الفكرة والحيلة، ومع الكفاية يقع العجز والبلادة." [2]
- **الحث على زيادة التفكر والتدبر في القرآن الكريم، والبحث عن دقائقه ومكنوناته، ولذا كرر الأمر بالتدبر كثيرًا ليظهر في الثانية ما خفي في**

(١) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير لفخر الدين الرازي، ت: ٦٠٦هـ) ج١٤١/٧ وما بعدها، ط: دار إحياء التراث العربي -بيروت، ط: الثالثة- ١٤٢٠هـ، مناهل العرفان ج٢ ص٢٨٣، دراسات في علوم القرآن الكريم، د. فهد الرومي ص ٤٠٥ وما بعدها، الأصلان في علوم القرآن ص ٥٨ وما بعدها أ. د. محمد عبد المنعم القيعي، ط: الرابعة ١٤١٧هـ-١٩٩٦م.، دراسات في علوم القرآن، د/ محمد بكر إسماعيل ص ١٩٠ وما بعدها، المسائل المشتركة بين علوم القرآن وأصول الفقه ص ٢٠٥ وما بعدها.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٥٨، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، ت: إبراهيم شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان بدون .

الأولى. بل إن المولى جَلَّجَلَالُهُ قد ذم في كتابه من يسمع القرآن ولا يفقه معناه، وذم من لم يتدبره، ومدح من يسمعه ويفقهه {وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ} [محمد: ١٦]. (١)

- **ظهور التفاضل والتفاوت بين العلماء، كل حسب طاقته وقدرته وما بذله من جهد في التفكر والتدبر**. يقول ابن قتيبة:" لو كان القرآن كله ظاهرا مكشوفا حتى يستوي في معرفته العالم والجاهل، لبطل التفاضل بين الناس، وسقطت المحنة، وماتت الخواطر." (٢)

- **رفع الحرج عن الأمة، فوجود الخلاف بين العلماء في فهم بعض النصوص أمر محمود يرفع الحرج عن الأمة، فقد وجد الناس في هذا الخلاف تيسيرًا وتَوْسِعَةً أرادها الله لهم {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ}**. يقول د / محمد بكر إسماعيل: القرآن الكريم كتاب هداية ومنهج حياة، أنزله الله بمطالب البشر جميعًا، على اختلاف بيئاتهم وأزمانهم، ومطالب الحياة كثيرة، والحاجات لا تحصى، فلا يكفيها تشريع تحتويه ملايين الصفحات. فكان من حكمة الحكيم الخبير أن ينزل من القرآن نصوصًا تحتمل وجوهًا من البيان، كل وجه منها يمس جانبًا من جوانب الحياة، ويقضي مطلبًا من مطالب الإنسان، ويفتح له بابًا من أبواب التيسير، فيدفع عنه حرجًا، أو يجعل له مخرجًا مما يعاني منه، أو يحبسه عن تحقيق أهدافه المشروعة،

(١) تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص ١٠٤.

(٢) تأويل مشكل القرآن ص ٥٨ .

حتى يبدو وكأن النص الواحد جمع في طيَّاته نصوصًا كثيرة، تأمر وتنهى، وتوصي وترشد، فأغنى ذلك عن كتاب عظيم لا تستقصى صفحاته، ولا تنقضي كلماته، وتشريعاته. وقد أدَّى هذا التشابه إلى خلافٍ محمود العواقب بين العلماء الأفاضل، وجدَ الناس فيه رحمة من الله وسعة؛ لأنه خلاف لم ينشأ بسبب تناقض في النصوص القرآنية أو اختلافًا بين أحكامها، كلَّا، كلَّا.[1] إذن فالحكمة في وجود المحكم والمتشابه هي رفع الضيق والحرج عن الأمة على مدى عصوره وأزمنتها، بل هو الطريق لإصلاح البشرية من الانحراف، فما انحرفت الأمة إلا حين تركت هذا المنهج وتخلت عنه إلى ثلة من القوانين الوضعية والنظريات البشرية.

- **التسليم بتفاوت الناس في الإدراك، فما يكون بدهيًّا عند قوم يكون نظريًّا عند آخرين، وكل عالم يعرف أن لعلمه نهاية، وفوق كل ذي علم عليم، والعلم الحقيقي عند الله الذي نزَّل الكتاب وهو يتولى الصالحين.**
- **بيان رحمة الله وفضله بالأمة، إذ لو كان القرآن كله من هذا النوع لكان في تحصيله مشقة عظيمة على الأمة، فاقتضت رحمة الله أن يجعل من القرآن ما هو محكم يدرك الناس معناه وهو أكثر القرآن، وما يحتاجون إليه في أمور دينهم ضرورة، ومنه آخر متشابهات لا يدركها إلا الراسخون في العلم وتذكر الناس بنعمة الآيات المحكمات.**
- **زيادة الأجر والثواب، فالأجر على قدر المشقة، وكلما كان الوصول إلى الحق أشق وأصعب كان الأجر أعظم وأكبر، كما أن المشقة تُحدث زيادة**

(١) دراسات في علوم القرآن د/ محمد بكر إسماعيل ص ١٩٠ بتصرف.

التعلق بمعاني القرآن؛ فإن الإنسان إذا حصَّل الشيء بمشقة تمسك به، وحافظ عليه، واهتم به.

- تحصيل العلوم الكثيرة؛ لأن معرفة المتشابه تحتاج إلى وسائل ليمكن بها معرفتها كعلم اللغة والنحو، وأصول الفقه، وغير ذلك من العلوم والمعارف.

- حمل الناس على تلقي العلم من الراسخين في العلم وأنهم إذا حضروا مجالسهم حصلوا علومًا أخرى، وآدابًا أكمل، وعرفوا شأن العلماء، وعلو مقامهم، ومكانتهم واختلاف مراتبهم .

- تعظيم شأن القرآن وبيان علو معانيه وسموها، واحتياج الناس لمعرفتها إلى التزود بالعلوم والمعارف حتى يرتقوا إلى مداركها. ويحظوا بمعانيها.

- لو كان القرآن كله محكما بالكلية لما كان مطابقا إلا لمذهب واحد، ومبطلا لجميع المذاهب المخالفة له، فينفر أرباب المذاهب الأخرى عن النظر فيه، أما وجود المتشابه والمحكم يطمع كل ذي مذهب أن يجد فيه كل ما يؤيد مذهبه، فيضطر إلى النظر فيه وقد يتخلص المبطل عن باطله إذا أمعن فيه النظر فيصل إلى الحق.

- اشتمال القرآن على المحكم والمتشابه يضطر الناظر فيه إلى الاستعانة بالأدلة العقلية فيتخلص من ظلمة التقليد وفي ذلك رفعة العقل واعتماد عليه، ولو كان كله محكما لما احتاج إلى الدلائل العقلية ولظل العقل مهملا.

- التدرج في الفهم، فالقرآن دعوة للخواص والعوام، والطبائع تختلف،

فيخاطبهم الباري سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ بما يناسبهم حتى يكشف لهم الأمر في النهاية ويصلوا إلى المحكم منها.

- **إن الله أنزل المتشابه لاختبار عباده؛ فأما المؤمن فلا يداخله فيه شك، وهو بين أمرين، إما قادر على رده إلى المحكم، وإما قائل: آمنا به كل من عند ربنا، إن لم يتبين له معناه، فأمره كله خير. وأما المنافق فيرتاب ولا يزيده القرآن إلاّ خسارا، وأما من كان في قلبه زيغ كأهل البدع، فيتبعون المتشابه؛ ليفتنوا الناس عن القرآن وصحيح السنة وينزلوه على مقتضى بدعتهم.**[1]

من حكم ذكر المتشابه الذي لا يمكن علمه :

- رحمة الله بالإنسان الذي لا يطيق معرفة كل شيء، فمن المصلحة ستر بعض الأمور عنه، فلو علم حقيقة جهنم وما فيها لقضى عليه الخوف، ولو علم بموعد أجله لعم الفساد وانقطع العمل عند كثير من الناس حتى موعد وفاتهم، ولو علموا بما سيرزقون لاتكلوا وانقطعوا عن العمل.

- كسر غرور العقل، وإقامة الحجة على عجز الإنسان وجهله، وقصور مداركه، و لو لم يبتل العقل الذي هو أشرف البدن لتمرد، فبذلك يتذلل عبودية، ويخضع لبارئه استسلاما واعترافا وإيمانا بالغيب. فمهما بلغ من العلم والمعرفة، إلا أنه يبقى حائرًا جاهلًا أمام أشياء كثيرة، كالروح مثلًا ما هي، وما وقت خروجها، وغير ذلك كثير وليس له إلا أن يقول ما قالته

(١) دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها ص ٧٧، لعبد المحسن بن زبن بن متعب المطيري، الناشر: دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.

الملائكة: {سُبْحَانَكَ لا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيم}.

- الإيمان بالغيب، الذي هو أصل من أصول العقيدة، بل هو أساس الإيمان بالرسالات، وكما هو معلوم يفوق الإيمان بالشهادة ولذلك مدح الله المتقين فقال:" الم ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ".

المطلب السادس

من الذي يقرر هذا محكم وهذا متشابه

أخرت الحديث في هذا الأمر بعد حديثي عن نسبية التشابه، والحديث عن فوائد ذكر المتشابه ما علمنا منه وما لم نعلم، وكان الحديث دائما يدور حول طلب العلم بل والرسوخ فيه، والآية واضحة في ذكر مزية أهل الرسوخ وفضلهم على غيرهم.

هنا سؤال: هل كلنا يستطيع أن يقرر هذه الآية من المحكمات وهذه من المتشابهات، أم هو أهل الاختصاص وخاص بعد ظهور المقارنات بين الأقوال والانتهاء إلى معرفة الراجح من أقوال أهل العلم، مما خطا فيه العلم خطوات واسعة أفنى أهله فيها أعمارهم.

لن أتطرق إلى الحديث عن حقيقة أو مجاز أو نحو ذلك، ولكن لتقريب المسألة ووضعها في بين يدي الواقع.

ماذا لو كان لهذا اللفظ معنيان جليَّان، واللفظ مستعملاً فيهما حقيقةً، هل يستطيع العوام أو حتى من يدعي الثقافة من غير المتخصصين في هذا الفن أن يجزم ما المراد هنا: الحقيقة اللغوية، أم الشرعية، أم العرفية.

هل هذه الآية مطلقة وهناك ما يقيدها، عامة وهناك ما يخصصها، أم على عمومها، إلى غير ذلك من أسئلة تطرح أبواب هذا العلم بابا بابا.

ولعل سائلا يسأل لما كان هذا العنوان ؟ ولم كل ذلك ؟ أقول ما نجده بيننا من التصدر للفتوى والحديث في العلوم الشرعية دون تأهل لذلك، مع

ترك ما يصدر من المؤسسات المعنية في الدولة التي بنيت على أكتاف أهل العلم والرسوخ الذين هضموا هذه العلوم، وعرفوا ما الذي يصلح لكل فترة وكل جماعة.

إن الجرأة بلغت بالبعض إلى حد التفسيق والتبديع، ولا أبالغ حين أقول: إن من لم يتفق معه أو ليس من أبناء منهجه بلغ به حد التكفير. فحين أسمع خطيبا يقول: "خذوا من حيث أخذ أصحاب رسول الله"، لجماعة لا يعرف جلهم ما أصول عقيدته، وهذا مكمن الخطر ولاسيما بعد انتشار بعض الكتيبات التي فيها من النصوص التي لو لم يُرجع فيها إلى أهل التخصص لأوردته المهالك[1]

أما كان لهذا أن ينظر ببساطة هل توفر لهؤلاء ما توفر للسادة الأطهار رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومعرفتهم الظروف والملابسات المحيطة بالنص، بالإضافة إلى اللغة التي لم تشب بعد، وفوق كل ذلك نور الصحبة مع سيد الخلق وتربيته لهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وحتى لا أستطرد سأضرب مثالًا تتضح به مقالتي:

يقول الحق سبحانه:" {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [الحشر: ٧]، يتصدى البعض متمسكا بالنص الشريف أن كل ما لم يأمر به النبي أو لم يرد عنه فهو بدعة، ولم يفهم أن النص لم يقل وما تركه فانتهوا عنه. أخرج البخاري بسنده عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ

(١) وقد حضرت مثل ذلك بنفسي في أحد خطب الجمعة، في قرية من قرانا في صعيد مصر، والخطيب غير متخصص في العلوم الشرعية.

رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، قَالَ:"دَعُونِي مَا تَرَكْتُكُمْ، إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِسُؤَالِهِمْ وَاخْتِلاَفِهِمْ عَلَى أَنْبِيَائِهِمْ، فَإِذَا نَهَيْتُكُمْ عَنْ شَيْءٍ فَاجْتَنِبُوهُ، وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِأَمْرٍ فَأْتُوا مِنْهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ»[1]. **ولم يقل إذا تركت شيئا فاجتنبوه.**

فمن المعلوم بالضرورة أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ لم يفعل جميع المباحات؛ لأنها كثيرة لا يستطيع أن يعدها بشر، فضلا عن زهد النبي واقتصاره على ما يسد الخلة وتقتضيه الحاجة، وكذا انشغاله بأمر الأمة وتبليغ الدعوة وجهاد أهل الكفر والنفاق إلى غير ذلك.

إذن فمن زعم تحريم شيء بدعوى أن النبي لم يفعله، فقد ادعى ما ليس عليه دليل، وكانت دعواه مردودة، والقاعدة أن ترك الشيء لا يقتضي تحريمه، والأدلة على ذلك كثير[2].

وفي المقابل أيضا من أوشك على الوصول إلى قول القائل إنما نكذب له لا عليه، فلا حول ولا قوة إلا بالله العظيم.

قال الله سُبْحَانَهُوَتَعَالَىٰ {وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ} [سبأ: ٦] فلولا أنهم عرفوا معنى ما أنزل الله كيف عرفوا أنه حق أو باطل، وهل يحكم على كلام لم يتصور معناه أنه حق أو باطل؟" {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ

(١) صحيح البخاري، كِتَابُ الِاعْتِصَامِ بِالكِتَابِ وَالسُّنَّةِ، بَابُ الِاقْتِدَاءِ بِسُنَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ ح رقم ٧٢٨٨.

(٢).إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة ص ٩ وما بعدها بتصرف، للشيخ عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، ط عالم الكتب بيروت ١٤٢٧ -٢٠٠٦.

لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا }[النساء: ٨٢]، {أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا} [محمد: ٢٤]. (١)

يقول ابن تيمية:" قد تبين أن الواجب طلب علم ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة ومعرفة ما أراد الله بذلك، كما كان على ذلك الصحابة والتابعون لهم بإحسان، ومن سلك سبيلهم، فكل ما يحتاج الناس إليه في دينهم فقد بينه الله ورسوله بيانا شافيا، فكيف بأصول التوحيد والإيمان، ثم إذا عرف ما بينه الرسول نظر في أقوال الناس وما أرادوه به فعرضت على الكتاب والسنة، والعقل الصريح دائما موافق للرسول لا يخالفه قط، فإن الميزان مع الكتاب، والله أنزل الكتاب بالحق والميزان، لكن قد تقصر عقول الناس عن معرفة تفصيل ما جاء به، فيأتيهم الرسول بما عجزوا عن معرفته وحاروا فيه لا بما يعلمون بعقولهم بطلانه. (٢)

(١).تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص ١٠٤، راجعه: طه يوسف شاهين، من علماء الأزهر الشريف، ط: دار الطباعة المحمدية، القاهرة، بدون.

(٢).تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية ص ١٦٤.

المبحث الثالث

نماذج تطبيقية تبين إعجاز القرآن في كونه مقسم إلى محكم ومتشابه

ويحتوي على المطالب الآتية:-

-المطلب الأول: نماذج تطبيقية لقضية المحكم والمتشابه في الإعجاز التشريعي.

-المطلب الثاني: نماذج تطبيقية لقضية المحكم والمتشابه في الإعجاز العلمي.

-المطلب الثالث: نماذج تطبيقية لقضية المحكم والمتشابه في الإعجاز الاقتصادي.

المطلب الأول

نماذج تطبيقية لقضية المحكم والمتشابه في الإعجاز التشريعي

- قاعدة للمرور:

أخرج ابْنُ جَرِيرٍ بسنده عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِهِ: {وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ} قَالَ: كَرْمٌ قَدْ أَنْبَتَتْ عَنَاقِيدُهُ، فَأَفْسَدَتْهُ. قَالَ: فَقَضَى دَاوُدُ بالغَنَم لِصَاحِبِ الكَرْم، فَقَالَ سُلَيْمَانُ: غيرُ هَذَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ! قَالَ: وَمَا ذَاكَ؟ قَالَ: تَدْفَعُ الْكَرْمَ إِلَى صَاحِبِ الْغَنَمِ، فَيَقُومُ عَلَيْهِ حَتَّى يَعُودَ كَمَا كَانَ، وَتَدْفَعُ الْغَنَمَ إِلَى صَاحِبِ الْكَرْمِ فيُصيب مِنْهَا حَتَّى إِذَا كَانَ الْكَرْمُ كَمَا كَانَ دَفَعْتَ الْكَرْمَ إِلَى صَاحِبِهِ، وَدَفَعْتَ الْغَنَمَ إِلَى صَاحِبِهَا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ}.وَهَكَذَا رَوَى العَوْفي، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَهَكَذَا قَالَ شُرَيح، ومُرَّة، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَابْنُ زَيْدٍ وَغَيْرُ وَاحِدٍ. وأخرج الْإِمَامُ أَحْمَدُ[1]، مِنْ حَدِيثِ اللَّيْثِ بن سَعْدٍ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ حَرام بن مُحَيْصة ؛ أَنَّ نَاقَةَ الْبَرَاءِ بن عَازِبٍ دَخَلَتْ حَائِطًا، فَأَفْسَدَتْ فِيهِ، فَقَضَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى أَهْلِ الْحَوَائِطِ حِفْظَهَا بِالنَّهَارِ، وَمَا أَفْسَدَتِ الْمَوَاشِي بِاللَّيْلِ ضَامِنٌ عَلَى أَهْلِهَا.[2]

---

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل، (ت: ٢٤١هـ) ج ٣٩ ص ٩٧ ح رقم ٢٣٦٩١، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م، والحديث إسناده مرسل صحيح، رجاله ثقات.

(٢) جامع البيان في تأويل القرآن ج ١٨ ص ٤٧٥ وما بعدها بتصرف، لابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، ت: أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ - =

يذكر الشيخ محمد تقي العثماني: أن الآية أشارت إلى اختلاف نظر كل من سيدنا داود وسليمان في وجه الحكم في هذه القضية، دون ذكر تفصيل للحكم مع استحسان رأي سليمان، ويستفاد من التفاسير أن المقصود من رأي كل من داود وسليمان هو تضمين الذي أضر بالكرم بما يقع به التعادل بين الضر والعوض ثم اختلفت أنظارهما في صورة هذا التعادل، إلا أن القصة تنبئ عن مبدأ عام وهو أن الذي يُحدث ضررا بنفس الآخر أو بماله فإنه يضمن ذلك الضرر.

فليست الآية بصدد تحريم الضرر فقط بل وجوب الضمان على من سببه.

ثم سرد الشيخ جملة من النصوص من السنة المطهرة تعضد هذا الأمر ثم انتهى إلى أنه "على أساس هذا المبدأ حكم الفقهاء من الصحابة والتابعين وقضاتهم بالضمان على من أضر الآخر بفعله، ومن هنا استخلص الفقهاء المتأخرون قواعد فقهية من هذا الباب منها:

- قاعدة المرور في طريق العامة مباح بشر السلامة، وحاصلها:" أن السير في طريق العامة حق لكل إنسان، ولكن استعمال هذا الحق مقيد بأن لا يُحدث ضررا بغيره، مما يمكن التحرز عنه.

فالأصل أنه لا يجوز لأحد أن يفعل فعلا يضر بآخر فإن أضر بفعله أحدا فهو ضامن.

=

٢٠٠٠ م، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت: ٧٧٤هـ) ج ٥ ص ٣٥٥، ٣٥٦ ت: سامي بن محمد سلامة، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.

ويذكر الشيخ أن هذا الأمر دقيق يحتاج إلى دراسة متقنة ودقيقة بالنظر إلى القراءات المعاصرة التي تنوعت فيها صور الحوادث وخاصة بعد التوسع في استخدام الوسائل الجديدة السريعة، بالرغم من قواعد المرور المنضبطة والمطبقة في أكثر البلاد، هذه الوسائل التي لم تكن من قبل وإن وجدت بعض المراكب المعروفة عندهم إلا أن كلامهم المبني على مآخذ الشريعة الأصلية من القرآن والسنة والإجماع والقياس، قد أوضح لنا أصولا عامة يمكن تطبيقها على ما وُجد أو سيوجد، وهذه مهمة الفقيه أن يعرف هذه الأصول العامة ويطبقها على الحياة المعاصرة مع الاعتناء بالفوارق بين القديم والجديد. (١)

- التلقيح الصناعي:

قال سبحانه: {نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ } [البقرة: ٢٢٣].

قال ابن عطية:" قال جابر بن عبد الله والربيع: سببها أن اليهود قالت: إن الرجل إذا أتى المرأة من دبرها في قبلها جاء الولد أحول، وعابت على العرب ذلك، فنزلت الآية تتضمن الرد على قولهم، وقالت أم سلمة وغيرها: سببها أن قريشا كانوا يأتون النساء في الفرج على هيئات مختلفة، فلما قدموا

(١) بحوث وقضايا فقهية معاصرة ج ١ ص ٢٧٧ وما بعدها بتصرف، لمحمد تقي العثماني (قاضي التمييز الشرعي بالمحكمة العليا لباكستان سابقا ونائب رئيس دار العلوم بكراتشي وعضو مجمع الفقه الاسلامي بجدة) ط: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بقطر، ط دار القلم ١٤٣٤ -٢٠١٣.

المدينة وتزوجوا أنصاريات أرادوا ذلك، فلم ترده نساء المدينة إذ لم تكن عادة رجالهم إلا الإتيان على هيئة واحدة وهي الانبطاح، فبلغ ذلك النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وانتشر كلام الناس في ذلك، فنزلت الآية مبيحة الهيئات كلها إذا كان الوطء في موضع الحرث، وحَرْثٌ تشبيه، لأنهنّ مزدرع الذرية، فلفظة "الحرث" تعطي أن الإباحة لم تقع إلا في الفرج خاصة، إذ هو المزدرع، وقوله أَنَّى شِئْتُمْ معناه عند جمهور العلماء من صحابة وتابعين وأئمة: من أي وجه شئتم مقبلة ومدبرة وعلى جنب، وأَنَّى إنما تجيء سؤالا أو إخبارا عن أمر له جهات، فهي أعم في اللغة من كيف ومن أين ومن متى، هذا هو الاستعمال العربي، وقد فسر الناس أَنَّى في هذه الآية بهذه الألفاظ. وفسرها سيبويه ب "كيف" ومن أين باجتماعهما. "[1]

لكن العلم الحديث استفاد من هذه الآية مستدلا بها في أمر آخر وهو عملية التلقيح الصناعي، وهو من الأمور المستحدثة وهي: إجراء عملية التلقيح بين حيوان الرجل المنوي، وبويضة المرأة من غير الطريق المعهود.

وهي عملية طبية تساعد على إخصاب المرأة عن طريق حقن الحيوانات المنوية في محلها المناسب داخل مهبل المرأة، أو يكون بسحب البويضات من رحم المرأة بطريقة معينة والتعامل معها طبيا، ثم توضع هذه البويضات في وَسَط مناسب ومغذى مع نطفة الرجل في وعاء مختبري ومن ثم يتم إخصاب البويضة الأنثوية بالنطفة الذكرية، ثم تعاد البويضة الملقحة إلى رحم

(١) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ج ١ ص ٢٩٩، لابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى - ١٤٢٢ هـ.

المرأة التي أعدت خصيصا لاستقبالهم من خلال معالجة هرمونية.

ووجه الدلالة - عند من أجاز - في قول الحق سبحانه:{نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ } [البقرة: ٢٢٣] أن الزوجة موضع حرث زوجها ومحل بذره ونطفته، أما غير الزوجة فليست بهذه المنزلة فهي مأمورة بحفظ فرجها من أن توضع فيه نطفة غير الزوج، وكذلك الزوج مأمور بحفظ فرجه عن مباشرة ما لا يحل له، ويدخل في معنى حفظ الفرج هنا عدم إيصال نطفته إلى رحم أجنبية عنه.[١]

والآية تدل أيضا على أن من الصور المحرمة وضع نطفة غير الزوج في رحم غير امرأته سواء متبرعة أم مستأجرة.

مع مراعاة الشروط التي اشترطها العلماء في جواز هذه العملية، وهي باختصار[٢]:

أن يكون التلقيح هو السبيل الوحيد للإنجاب، ووجود الضرورة له، وأن لا يترتب عليه محظور شرعي كالخلو بأجنبية والنظر إليها، ووجوب رضا الزوجين مع قيام الزوجية، ووجوب اتخاذ الاحتياطات والتدابير اللازمة لمنع اختلاط الأنساب.

---

(١) التحكم في نوع الجنين قبل الحمل من منظور الفقه الإسلامي ص ١٠١٨ وما بعدها بتصرف، دراسة فقهية مقارنة.بحث أعده د/ احمد عطاالله عبد الباسط المدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا وقد تم نشره بمجلة الكلية الجزء الثاني العدد السابع عشر ١٤٣٨-٢٠١٧.

(٢) فمن أراد المزيد فليرجع إلى محله.

المطلب الثاني

نماذج تطبيقية لقضية المحكم والمتشابه في الإعجاز العلمي[1]

قال سبحانه:" {الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ}[2]

قال القرطبي:" أَيْ يَجْرِيَانِ بِحِسَابٍ مَعْلُومٍ فَأَضْمَرَ الْخَبَرَ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَقَتَادَةُ وَأَبُو مَالِكٍ: أَيْ يَجْرِيَانِ بِحِسَابٍ فِي مَنَازِلَ لَا يَعْدُوَانِهَا وَلَا يَحِيدَانِ عَنْهَا. وَقَالَ ابْنُ زَيْدٍ وَابْنُ كَيْسَانَ: يَعْنِي أَنَّ بهما تحسب الأوقات والآجال الأعمار، وَلَوْلَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَمْ يَدْرِ أَحَدٌ كَيْفَ يَحْسُبُ شَيْئًا لَوْ كَانَ الدَّهْرُ كله أَوْ نَهَارًا. وَقَالَ السُّدِّيُّ:(بِحُسْبانٍ) تَقْدِيرُ آجَالِهِمَا أَيْ تَجْرِي بِآجَالٍ كَآجَالِ النَّاسِ، فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمَا هَلَكَا. [3] وقال ابن كثير:" {الشَّمْسُ

---

(١) وقد ذكرت الإعجاز العلمي بعدا عن التفسير العلمي وما عليه من اختلاف، ليس هنا مكان ذكر الحديث عنه، والإعجاز العلمي هو: إخبار القرآن بالحقائق في شتى العلوم، وفي الكون بمعطيات علمية وتعبيرات دقيقة، تصريحاً أو تلميحا، والتي لم تكن معروفة في عصر نزول القرآن كما لم تكن معلومة لرسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ. أو هو إظهار صدق رسول الله صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ بما حمله الوحي إليه من علم إلهي عن الكون ثبت تحققه ويعجز البشر عن نسبته إلى أي مصدر بشري في عصر نزول القرآن. المعجزة الخالدة " مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة "ص ١٤ د/ أحمد أبو الوفا عبد الآخر، د/ كارم السيد غنيم ط: الأولى ١٤٢٦ /٢٠٠٥.

(٢) الرحمن، الآية: [٥]

(٣) تفسير القرطبي (١٧ / ١٥٣): الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي ت: ٦٧١هـ)، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية بالقاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.

وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ} أَيْ: يَجْرِيَانِ مُتَعَاقِبَيْنَ بِحِسَابٍ مُقَنَّن لَا يَخْتَلِفُ وَلَا يَضْطَرِبُ، {لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [يس: ٤٠]، وَقَالَ تَعَالَى: {فَالِقُ الإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ} [الْأَنْعَامِ: ٩٦].[١]

فيتبادر للذهن أنهما لمجرد الحساب، كما جاء في قوله تعالى: {وَلِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ} [الإسراء: ١٢] لكن هناك حسبان يتعلق بذات كل من الشمس والقمر. فالشمس أهم نجم لأهل الأرض يعيشون على ضوءها وحرارتها، والقمر تابع صغير للأرض لكن ذو أثر قوي في حياتها مثل المد والجزر في البحار، وحجم كل من الشمس والقمر وبعدها عن الأرض، كله محسوب بكامل الدقة، فالشمس التي تبعد عنا نحو ٩٣ ميل لو اقتربت من الأرض لاحترقت وانصهرت، ولو بعدت عنا لتجمدت واستحالت الحياة عليها، كما أن ما يرد إلينا من أشعة بنفسجية هو المقدار الضروري للحياة على الأرض ولو زاد لانتهت الحياة.وكذا القمر لو اقترب أو كان أكبر من ذلك لغمرت المياه الأرض، ولكنه حسبان لا يخطئ شعرة[٢]

- علم البصمات:

قال سبحانه: {أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ج٧ ص ٤٨٩.

(٢) مباحث في إعجاز القرآن ص ١٩٦، ١٩٧ بتصرف. أ.د / مصطفى مسلم، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: دار المسلم، ط الثانية ١٤١٦ /١٩٩٦.

نُسَوِّيَ بَنَانَهُ }[1]

قال الفخر الرازي:"وَإِنَّمَا خُصَّ الْبَنَانُ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ آخِرُ مَا يَتِمُّ خَلْقُهُ، فَكَأَنَّهُ قِيلَ: نَقْدِرُ عَلَى ضَمِّ سُلَامَاتِهِ عَلَى صِغَرِهَا وَلَطَافَتِهَا بَعْضِهَا إِلَى بَعْضٍ كَمَا كَانَتْ أَوَّلًا مِنْ غَيْرِ نُقْصَانٍ وَلَا تَفَاوُتٍ، فَكَيْفَ الْقَوْلُ فِي كِبَارِ الْعِظَامِ.وبمثله قال القرطبي[2].

وعلى الرغم من محاولات المفسرين إلقاء الضوء على البنان وإبراز جوانب الحكمة والابداع في تكوين رؤوس الأصابع من عظم دقيق وتركيب الأظافر فيها ووجود الأعصاب الحساسة وغير ذلك، إلا أن الإشارة الدقيقة أُدركت فيما بعد في القرن التاسع عشر الميلادي.

ألا وهو علم البصمات، هذه المعجزة منذ أعلنها ج - س - آ ماير قبل ١٨٥٦ وأعلن بعدها كيف لهذه الخطوط أنها لا تتبدل ولا تتغير. هذه الأماكن حتى لو حدثت بها جروح أو شقوق ثم التأمت عادت البصمة إلى حالتها الأولى. وأول مؤلف علمي في هذا الصدد فرانسيس جالتون، ألف كتابا بعنوان بصمات الأصابع واعتمدته بريطانيا ١٩١٠. ولا تزال البصمات أقصى سلاح في اكتشاف المجرمين حتى الآن[3].

(١) القيامة، الآيتان: [٣، ٤]

(٢) مفاتيح الغيب ج٣٠ ص ٧٢٢، تفسير القرطبي ج١٩ ص ٩٤.

(٣) مباحث في إعجاز القرآن، د / مصطفى مسلم ص ٢٣٩، الإسلام والنظر في آيات الله الكونية ص ١٩٤ وما بعدها بتصرف، / د محمد عبد الله الشرقاوي، عضو هيئة التدريس في كلية العلوم جامعة القاهرة، أ مساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط مطابع رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.

المطلب الثالث

نماذج تطبيقية لقضية المحكم والمتشابه في الإعجاز الاقتصادي

- - سياسة تقليل الخسائر:

قال سبحانه: {فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا } [الكهف: ٧١].

يقول الفخر الرازي:" فَلِأَنَّ ذَلِكَ الْعَالِمَ عَلِمَ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَعِبْ تِلْكَ السَّفِينَةَ بِالتَّخْرِيقِ لَغَصَبَهَا ذَلِكَ الْمَلِكُ، وَفَاتَتْ مَنَافِعُهَا عَنْ مُلَّاكِهَا بِالْكُلِّيَّةِ فَوَقَعَ التَّعَارُضُ بَيْنَ أَنْ يَخْرِقَهَا وَيَعِيبَهَا فَتَبْقَى مَعَ ذَلِكَ عَلَى مُلَّاكِهَا، وَبَيْنَ أَنْ لَا يَخْرِقَهَا فَيَغْصِبَهَا الْمَلِكُ فَتَفُوتَ مَنَافِعُهَا بِالْكُلِّيَّةِ عَلَى مُلَّاكِهَا، وَلَا شَكَّ أَنَّ الضَّرَرَ الْأَوَّلَ أَقَلُّ فَوَجَبَ تَحَمُّلُهُ لِدَفْعِ الضَّرَرِ الثَّانِي الَّذِي هُوَ أَعْظَمُهُمَا". (١)

يقول د / رفيق يونس المصري، ما مجمله: إن هذا التخريق يجب أن يكون واقعا على وجه لا تبطل به منافع تلك السفينة بالكلية إذ لو كان كذلك لم يكن الضرر الحاصل من غصبها أبلغ من الضرر الحاصل من تخريقها، وحينئذ لا يكون تخريقها مفيدا، وبعبارة أدق يجب أن يكون التخريق بالقدر الكافي فقط لمنع الغصب، وعلى هذا فإن الخضر وازن بين خسارتين: خسارة العيب لكي تسلم من الغصب، وخسارة السفينة إذا كانت سالمة وغصبها الملك، فاختار خسارة العيب لأنها الأقل. فهاهنا يتم اللجوء إلى سياسة تقليل

(١) مفاتيح الغيب ج٢١ ص ٤٩٠.

الخسائر إذا تعينت هذه الخسارة، وهو مبدأ معروف في علم الاقتصاد، وعلم الإدارة والعلوم العسكرية، وهو ما يعبر عنه في القواعد الفقهية الكلية بأنه إذا تعارضت مفسدتان روعي أعظمهما ضررا، وأن الضرر الأشد يزال بالضرر الأخف ويختار أهون الشرين، وحفظ البعض أولى من تضييع الكل.

ثم يقول هذه القصة كثيرة النفع في الحياة، ففيها ترشيد التصرفات، ومبدأ تدنية الخسارة إلى أدنى حد ممكن، ومبدأ تعظيم الربح يصدران عن مشكاة واحدة، والمنشأة التي تدفع الخسارة الكبرى بالخسارة الصغرى إنما تحقق ربحا قدره هو الفرق بين الخسارتين.(١)

- **مبدأ توزيع المخاطر:**

قال سبحانه: {وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ} [يوسف: ٦٧]

بعد حديثه عن التوكل ووجوب الأخذ بالأسباب، نقل كلام الفخر الرازي رحمه الله:"إِنَّ الْإِنْسَانَ مَأْمُورٌ بِأَنْ يَحْذَرَ عَنِ الْأَشْيَاءِ الْمُهْلِكَةِ، وَالْأَغْذِيَةِ الضَّارَّةِ، وَيَسْعَى فِي تَحْصِيلِ الْمَنَافِعِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ بِقَدْرِ الْإِمْكَانِ ثُمَّ إِنَّهُ مَعَ ذَلِكَ يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ جَازِمًا بِأَنَّهُ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ إِلَّا مَا قَدَّرَهُ اللَّهُ وَلَا يَحْصُلُ فِي الْوُجُودِ إِلَّا مَا أَرَادَهُ اللَّهُ فَقَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا تَدْخُلُوا مِنْ بابٍ واحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوابٍ مُتَفَرِّقَةٍ فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى رِعَايَةِ الْأَسْبَابِ الْمُعْتَبَرَةِ فِي هَذَا الْعَالَمِ، وَقَوْلُهُ: وَما أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِشَارَةٌ إِلَى عَدَمِ الِالْتِفَاتِ إِلَى

(١)الإعجاز الاقتصادي للقرآن الكريم ص ٥٠ وما بعدها بتصرف.

الْأَسْبَابِ وَإِلَى التَّوْحِيدِ الْمَحْضِ وَالْبَرَاءَةِ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَى اللَّه تَعَالَى". [1]

وقد ذكر أن التحوط من المخاطر يدخل في باب العقل الرشد ، ولا أدل على ذلك من قوله {وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ } [يوسف: ٦٨]، ثم كلام الطاهر بن عاشور: "وَوَجْهُ الْعُدُولِ عَنِ الْمُتَعَدِّدَةِ إِلَى الْمُتَفَرِّقَةِ الْإِيمَاءُ إِلَى عِلَّةِ الْأَمْرِ وَهِيَ إِخْفَاءُ كَوْنِهِمْ جَمَاعَةً وَاحِدَةً. "[2] ثم يقول: المهم هنا أن المقصود هو عدم لفت النظر، وسواء أكان ذلك خشية العين أو خشية الاغتيال أو غير ذلك فإن الآية تفيد مبدأ توزيع المخاطر، وهو مبدأ اقتصادي وإداري ومالي معروف في الأدبيات الحديثة وهو كقولهم " لا تضع البيض كله في سلة واحدة "[3]

(١) مفاتيح الغيب ج١٨ ص٤٨٣.

(٢) التحرير والتنوير ج١٣ ص ٢١. للطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، ط: الدار التونسية للنشر – تونس، ط: ١٩٨٤ هـ.

(٣) الإعجاز الاقتصادي للقرآن الكريم، د / رفيق يونس المصري ص ٩٢ بتصرف.

خاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على صاحب المعجزات الباهرات، والأنوار الزكيات، سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أهل التقى والمكرمات، وبعد:

فلقد طفت في أرجاء هذا العنوان الذي أسأل الله تبارك وتعالى أن أكون قد أديت فيه شيئا يرضيه ويقبله، وأن تكون رحلتي هذه نفت شيئا مما علق ببعض الأذهان التي اعتقدت فكرا ثم انطوت عليه وسخرت جميع حواسها وإمكانيتها له، أو فتحت لصاحب بصيرة قد يرى ما لم أره، فرب مبلغ أوعى من سامع.

هذا وقد انتهيت من هذا البحث، واستفدت منه استفادة عظيمة وتعطرت حواسي بروائح التفسير وعلوم القرآن الزكية، فإنه يطيب لي أن أذكر بعض النتائج والمقترحات التي بدت لي من خلال معايشتي لهذا البحث:

أهم نتائج البحث:

- تقسيم القرآن إلى محكم ومتشابه نوع من أنواع الإعجاز، فهذا التقسيم قادر على إبقاء صورة الإعجاز حية، بل وتتسم بالقوة، تعطي كل من يحتاج إليها ما يحتاج، وهو الجديد.
- استحالة وجود ما لا معنى له في القرآن الكريم.
- مرونة النص القرآني، وتناسبه مع كل زمان ومكان.
- رغم اختلاف الثقافة وتقدم المجتمع، إلا أن الأمة دائما في حاجة إلى

دستور دائم، يأخذ كل جيل ما يحتاجه، فالقرآن عطَّاء أبد الدهر.

- الأمة الإسلامية أمة ذات حضارة لم تقم على أكتاف غيرها من الحضارات، بل قامت على المنهج الشرعي المتمثل في كتاب الله وسنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكتاب الله هو المصدر الأول للتشريع، ولذا فكل ما نراه من اهتمام به فهو حقيق به، فهو رفعة لمن يتعاطى ذلك، لكن ما ظهر حديثا مما نراه من جمود لدى البعض، ولا أبالغ حين أقول من بُعد أو استنكاف وكأنه لم يصلح بعد رغم كل ما يثبته الدليل كل لحظة ويبرهن عليه كل حين بخلاف ذلك.

- المنهج العلمي الصحيح المبني على القواعد الشرعية ومنها حمل المتشابه على المحكم يؤدي إلى بيان الحقائق وكشفها.

- عدم التصدي لعرض قضية، أو الفتوى فيها دون الإلمام بأدلتها من جميع جوانبها، ومراعاة السقف الثقافي لمن تعرض عليه، وعرضها عليهم بلغة تيسر لهم سرعة استيعابها، وإلا فليجتنب ذلك حتى يتمكن فهو خير وللأمة.

أهم التوصيات:

- وجوب العمل دائما على إبراز وجوه إعجاز القرآن، وصلاحيته لكل زمان ومكان.

- وجوب وجود لجنة علمية متخصصة لمراقبة كل ما يخص القرآن الكريم، ولاسيما من أهل التفسير، لبيان ما يصح من غيره .

- العمل على إقامة الندوات والدروس والمؤتمرات، وعلى الصعيد الآخر

الدورات التدريبية ولاسيما لغير المتخصصين في العلوم الشرعية لبيان وعرض أوجه إعجاز القرآن الكريم، وبيان ما يجب مراعاته من ضوابط في هذا الشأن.

ثبت المراجع

- إتقان الصنعة في تحقيق معنى البدعة، للشيخ عبد الله بن محمد بن الصديق الغماري، ط عالم الكتب بيروت ١٤٢٧ -٢٠٠٦.
- إعجاز القرآن بين السيوطي والعلماء (رسالة دكتوراه)، لمحمد حسن عقيل موسى، ط: دار الأندلس الخضراء للنشر والتوزيع بجدة، ط: الثانية ١٤٢٢ - ٢٠٠.
- إعجاز القرآن للباقلاني (ت: ٤٠٣هـ) ، ت: السيد أحمد صقر، ط: دار المعارف - مصر، ط: الخامسة، ١٩٩٧م.
- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، لمصطفى صادق الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، ط: دار الكتاب العربي - بيروت، ط: الثامنة - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
- إعلام الموقعين عن رب العالمين. لابن قيم الجوزية (ت: ٧٥١هـ)، ت: محمد عبد السلام إبراهيم، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.
- أعمال وبحوث المؤتمر العالمي الأول لدار الإفتاء المصرية " الفتوى إشكاليات الواقع وآفاق المستقبل "، أغسطس ٢٠١٥ .
- الإسلام والنظر في آيات الله الكونية ، / د محمد عبد الله الشرقاوي، عضو هيئة التدريس بكلية العلوم جامعة القاهرة، أ مساعد بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط مطابع رابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة.
- الأصلان في علوم القرآن، أ. د. محمد عبد المنعم القيعي، ط: الرابعة ١٤١٧هـ- ١٩٩٦م.
- الإعجاز العلمي في القرآن والسنة، د/ عبد الله المصلح، د/ عبد الجواد الصاوي، ط: دار جياد، ط: الأولى ١٤٢٩- ٢٠٠٨.

- الإعجاز الاقتصادي للقرآن الكريم، د / رفيق يونس المصري (مركز أبحاث الاقتصاد الإسلامي، جامعة الملك عبد العزيز بجدة) ، ط دار القلم بدمشق، ط: الأولى ١٤٢٦ -٢٠٠٥.
- التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور (ت: ١٣٩٣هـ)، ط: الدار التونسية للنشر - تونس، ط: ١٩٨٤ هـ.
- التحكم في نوع الجنين قبل الحمل من منظور الفقه الإسلامي، دراسة فقهية مقارنة. بحث أعده د/ احمد عطاالله عبد الباسط، المدرس بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا وقد تم نشره بمجلة الكلية الجزء الثاني العدد السابع عشر ١٤٣٨-٢٠١٧.
- التفسير والمفسرون، د/ محمد السيد حسين الذهبي (ت: ١٣٩٨هـ)، الناشر: مكتبة وهبة، القاهرة.
- الفلسفة القرآنية لعباس محمود العقاد، ط: دار نهضة مصر للطباعة والنشر بالقاهرة.
- القرآن وإعجازه العلمي، لمحمد إسماعيل إبراهيم، ط: دار الفكر العربي - دار الثقافة العربية للطباعة، بدون.
- القرآن ونقض مطاعن الرهبان، د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط: دار القلم - دمشق، ط: الأولى: ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧ م.
- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لابن عطية الأندلسي (ت: ٥٤٢هـ)، ت: عبد السلام عبد الشافي محمد، ط: دار الكتب العلمية - بيروت، ط: الأولى - ١٤٢٢ هـ.
- المختار من علوم القرآن" القرآن الكريم من التنزيل إلى التدوين والترتيل "، د / أبو الوفا أحمد عبد الأخر، ط:الأولى ٢٠٠٢ -١٤٢٣، ط: المكتب المصري الحديث بالقاهرة.

- المسائل المشتركة بين علوم القرآن وأصول الفقه وأثرها في التفسير، د/ فهد بن مبارك بن عبد الله الوهبي، ط: مركز تفسير للدراسات القرآنية بالرياض، ط: الأولى ١٤٣٦ - ٢٠١٥.
- المعجزة الكبرى القرآن لأبي زهرة (ت: ١٣٩٤هـ)، ط: دار الفكر العربي، بدون.
- المفردات في غريب القرآن، للراغب الأصفهانى (ت: ٥٠٢هـ)، ت: صفوان عدنان الداودي، الناشر: دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤١٢هـ.
- الموافقات للشاطبي (ت: ٧٩٠هـ)، ت: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان، الناشر: دار ابن عفان، ط: الأولى ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.
- النظم العددية المنعكسة وتركيب الحامض النووي، د / الصديق الحاج أبو ضفيرة، جامعة الخرطوم، كلية الآداب، قسم اللغة الفرنسية، محرم ١٤٢٦- ٢٠٠٥، بحث لمؤتمر إعجاز القرآن كلية الشريعة، جامعة الزرقاء الأهلية بالأردن ٢٠٠٥.
- الواضح في علوم القرآن د/ مصطفى البغا، محي الدين مستو، ط دار الكلم الطيب بدمشق، ط: الثانية ١٤١٨- ١٩٩٨.
- بحوث وقضايا فقهية معاصرة، لمحمد تقي العثماني (قاضي التمييز الشرعي بالمحكمة العليا لباكستان سابقا ونائب رئيس دار العلوم بكراتشي وعضو مجمع الفقه الإسلامي بجدة) ط: وزارة الأوقاف والشئون الإسلامية بقطر، ط دار القلم ١٤٣٤ -٢٠١٣.
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، للفيروزآبادى (ت: ٨١٧هـ)، ت: محمد علي النجار، ط: المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.
- بين مفهوم المعجزة وإعجاز القرآن نظرات نقدية، د/ عدنان محمد زرزور أستاذ

ورئيس قسم أصول الدين جامعة قطر.
- تأويل مشكل القرآن، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت: ٢٧٦هـ)، ت: إبراهيم شمس الدين، ط: دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان بدون.
- تفسير القرآن العظيم لابن كثير (ت: ٧٧٤هـ)، ت: سامي بن محمد سلامة، ط: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- تفسير القرطبي الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي ت: ٦٧١هـ)، ت: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، ط: دار الكتب المصرية - القاهرة، ط: الثانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.
- تفسير سورة الإخلاص لابن تيمية، راجعه: طه يوسف شاهين، ط: دار الطباعة المحمدية، القاهرة، بدون.
- جامع البيان في تأويل القرآن، لابن جرير الطبري (ت: ٣١٠هـ)، ت: أحمد محمد شاكر، ط: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- جدلية الثابت والمتغير على ضوء القرآن الكريم، بحث لجعفر النمر، أستاذ الدراسات العليا بالحوزة - السعودية .
- دراسات في علوم القرآن، د/ محمد بكر إسماعيل (ت: ١٤٢٦هـ)، ط: دار المنار، ط: الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- دراسات في علوم القرآن الكريم، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، ط: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- درة التنزيل وغرة التأويل، لأبي عبد الله محمد بن عبد الله الأصبهاني المعروف بالخطيب الإسكافي (ت: ٤٢٠هـ)، ت: د/ محمد مصطفى آيدين، الناشر: جامعة أم القرى، وزارة التعليم العالي سلسلة الرسائل العلمية الموصى بها معهد البحوث العلمية مكة المكرمة، ط: الأولى، ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م.

- دعاوى الطاعنين في القرآن الكريم في القرن الرابع عشر الهجري والرد عليها، لعبد المحسن بن زبن بن متعب المطيري، ط: دار البشائر الإسلامية، بيروت - لبنان، ط: الأولى، ١٤٢٧ هـ - ٢٠٠٦ م.
- سنن أبي داود السِّجِسْتاني (ت: ٢٧٥هـ)، ت: محمد محيي الدين عبد الحميد، ط: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- صحيح البخاري، ط: دار طوق النجاة، ط: الأولى، ١٤٢٢هـ.
- علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع، لعبد الوهاب خلاف (ت: ١٣٧٥هـ)، ط: مطبعة المدني "المؤسسة السعودية بمصر".
- علوم القرآن وإعجازه وتاريخ توثيقه، د/ عدنان زرزور، ط: دار الإعلام بالأردن، ط: الأولى ١٤٢٦ -٢٠٠٥.
- فكرة إعجاز القرآن من البعثة النبوية إلى عصرنا الحاضر، د / نعيم الحمصي، ط: مؤسسة الرسالة ببيروت، ط: الثانية ١٤٠٠ - ١٩٨٠.
- قضايا فقهية في المال والاقتصاد، د / نزيه حماد، أستاذ الفقه وأصوله في كلية التربية بجامعة أم القرى، ط: دار القلم بدمشق، ط: الأولى ١٤٢١-٢٠٠١.
- لسان العرب، لابن منظور الإفريقي (ت: ٧١١هـ)، ط: دار صادر - بيروت، ط: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
- مباحث في إعجاز القرآن، أ.د / مصطفى مسلم، أستاذ التفسير وعلوم القرآن بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: دار المسلم، ط الثانية ١٤١٦ /١٩٩٦.
- مباحث في علوم القرآن، د/ صبحي الصالح، ط: دار العلم للملايين، ط: الرابعة والعشرون يناير ٢٠٠٠.
- مباحث في علوم القرآن، لمناع بن خليل القطان (ت: ١٤٢٠هـ)، ط: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، ط: الثالثة، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.

- مجموع الفتاوى، لتقي الدين بن تيمية (ت: ٧٢٨هـ)، ت: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، ط: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة، ط: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- مدخل إلى إعجاز القرآن، بحث مقدم من د / هارون كامل الشرباتي، الأستاذ المشارك في التفسير وعلوم القرآن، عميد كلية الشريعة بجامعة الخليل، إلى جامعة الزرقاء الأهلية، مؤتمر كلية الشريعة السابع ٢٠٠٥.
- مدخل إلى دراسة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة " د/ أحمد أبو الوفا عبد الآخر، د/ كارم السيد غنيم ط: الأولى ١٤٢٦ /٢٠٠٥.
- مسند الإمام أحمد بن حنبل، (ت: ٢٤١هـ)، ت: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، ط: مؤسسة الرسالة، ط: الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- معجزة القرآن لمحمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، ط: المختار الاسلامي للطباعة والنشر بالقاهرة، ط: الأولى، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- معجم مقاييس اللغة، المؤلف: أحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي(ت: ٣٩٥هـ)، ت: عبد السلام محمد هارون، ط: دار الفكر، ط: ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م..
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير لفخر الدين الرازي، ت: ٦٠٦هـ)، ط: دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط: الثالثة - ١٤٢٠ هـ.
- مفاتيح للتعامل مع القرآن، د/ صلاح عبد الفتاح الخالدي، ط: دار القلم - دمشق، ط: الثالثة، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م.
- مناهج المفسرين من العصر الأول إلى العصر الحديث د/ محمود النقراشي السيد علي، الناشر مكتبة النهضة - القصيم، ط أولى ١٤٠٧ - ١٩٨٦.
- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزُّرْقاني (ت: ١٣٦٧هـ) ط: مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط: الثالثة، بدون.

- نحو موقف قرآني من إشكالية المحكم **والمتشابه**، أ. د / طه العلواني، ط: دار السلام للطباعة والنشر بالقاهرة ط: ٢٠١٠ م.
- نظرات من الإعجاز البياني نظريا وتطبيقا لسامي محمد هشام حريز، ط: دار الشروق بالأردن، ط: الأولى ٢٠٠٦ .